

زاد المسير في علم التفسير
سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم
{لَرَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ لُمِينِ}
فصل في نزولها.

هي مكة بالإجماع. وفي سبب نزولها قولان. أما القول الأول، فروي عن سعد بن أبي وقاص. قال: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ لُمِينِ} إلى قوله: {تَحْنُ تُقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ لِقَاصِصٍ}، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى {اللَّهُ تَزَّلَ أَحْسَنَ لِحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي} [الزمر: 23] كل ذلك يؤمرون بالقرآن. وقال عون بن عبد الله: مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله عز وجل {اللَّهُ تَزَّلَ أَحْسَنَ لِحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي} [الزمر: 23]، ثم إنهم ملوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله {تَحْنُ تُقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ لِقَاصِصٍ}، فأراد الحديث، فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص. والثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} إنا أنزلناه قرآنا عربيا {وذلك أن التوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه. وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول {يُؤْتِسِرَ}، إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة، فقال: لما لحق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملل وسامة، فقالوا له: حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل، فقال: تلك الأحاديث التي تقدرُونَ الانتفاع بها وانصراف الملل، هي آيات الكتاب المبين. وفي معنى {لُمِينِ} خمسة أقوال.

أحدها: البين حلاله وحرامه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: المبين للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم، رواه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. والثالث: البين هداه ورشده، قاله قتادة. والرابع: المبين للحق من الباطل. والخامس: البين إعجازه فلا يعارض، ذكرهما الماوردي.
{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}

قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} في هاء الكناية قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله الجمهور. والثاني: إلى خبر يوسف، ذكره الزجاج، وابن القاسم.

قوله تعالى: {فُزَّاءَنَا عَرَبِيًّا} قد ذكرنا معنى القرآن واشتقاقه في سورة [النساء: 82] وقد اختلف الناس، هل في القرآن شيء بغير العربية، أم لا، فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية. وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ فُزَّاءَنَا عَرَبِيًّا} [الزخرف: 3] وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب، مثل «سجيل» و«المشكاة» و«اليم» و«الطور» و«أباريق» و«إستبرق» وغير ذلك. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال أبو عبيد: وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هو إلى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال: أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بالسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحالة، أعجمية الأصل، فهذا القول يصدق الفريقين جميعا.

قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} قال ابن عباس: لكي تفهموا. {تَخُنْ نَقْصُ عَالِيكَ أَحْسَنَ لِقْصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا لِقُرْءَانٍ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِينَ}

قوله تعالى: {تَخُنْ نَقْصُ عَالِيكَ أَحْسَنَ لِقْصَصِ} قد ذكرنا سبب نزولها في أول الكلام. وقد خصت بسبب آخر، فروي عن سعيد بن جبير قال: اجتمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلى سلمان، فقالوا: حدثنا عن التوراة فإنها حسن ما فيها، فأنزل الله تعالى {تَخُنْ نَقْصُ عَالِيكَ أَحْسَنَ لِقْصَصِ} يعني: قصص القرآن أحسن مما في التوراة. قال الزجاج: والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان، والقاص، الذي يأتي بالقصة على حقيقتها. قال: وقوله: {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسر، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتديب المعاش، والصبر على الأذى، والحلم، والعز، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.

قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُ} في إن قولان.

أحدهما: أنها بمعنى «قد» والثاني: بمعنى «ما»

قوله تعالى: { مِنْ قَبْلِهِ } قال ابن عباس: من قبل نزول القرآن. { لَمِنْ
لِغْفَلِينَ } عن علم خير يوسف وما صنع به إخوته.
{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ
لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَبْنَى لَآ تَقْضِصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ }

قوله تعالى: { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ } في إذ قولان:

أحدهما: أنها صلة للفعل المتقدم، والمعنى: نحن نقص عليك إذ قال يوسف.
والثاني: أنها صلة لفعل مضمَر، تقديره: اذكر إذ قال يوسف، ذكرهما الزجاج،
وابن الأنباري.

قوله تعالى: { يَا أَبَتِ } قرأ أبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء، ووقفا بالهاء،
وافقهما ابن كثير في الوقف بالهاء، وقرأ الباقون بكسر التاء. فمن فتح التاء،
أراد: يا ابنا، فحذف الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة دالة على الألف، كما
أن الكسرة تبقى دالة على الياء. ومن وقف على الهاء، فلان تاء التانيث تبدل
منها الهاء في الوقف. وقرأ أبو جعفر أحد عشر، وتسعة عشر، بسكون العين
فيهما.

وفي ما رآه يوسف قولان.

أحدهما: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب، وهو قول الأكثرين. قال الفراء:
وإنما قال: «رأيتهم» على جمع ما يعقل، لأن السجود فعل ما يعقل، كقوله:
{ قَالَتْ تَمَلَّهُ بِأَيْهَا اللَّمْلُ } [النمل: 18]. قال المفسرون:
كانت الكواكب في التأويل إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، فلما قصها على
يعقوب أشفق من حسد إخوته. وقال السدي: الشمس أبوه، والقمر خالته،
لأن أمه كانت قد ماتت.

والثاني: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكنى عن ذكرهم، وهذا مروى عن
ابن عباس، وقتادة. فأما تكرار قوله: { رَأَيْتُهُمْ } فقال الزجاج: إنما كرره لما
طال الكلام توكيدا.

وفي سن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال.

أحدها: سبع سنين. والثاني: اثنتا عشرة سنة والثالث: سبع عشرة سنة.
قال المفسرون: علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويل رؤياه، فقال: { لَآ
تَقْضِصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا }، قال ابن قتيبة: يحتالوا لك حيلة
ويغتالوك. وقال غيره: اللام صلة، والمعنى: فيكيدوك. والعدو المبين: الظاهر
العداوة.

{ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }
قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ } قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك. وقد شرحنا في [الأنعام: 87] معنى الاجتباء. وقال ابن عباس: يصطفيك بالنبوة. قوله تعالى: { وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلا لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه.

والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد. والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، ذكره الزجاج. قال مقاتل: و«من» هاهنا صلة.

قوله تعالى: { وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: بالنبوة، قاله ابن عباس والثاني: باعلاء الكلمة.

والثالث: بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم، ذكرهما الماوردي. وفي { يَعْقُوبَ كَمَا } ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم ولده، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يعقوب وامراته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل. والثالث: أهله، قاله أبو عبيدة، واحتج بأنك إذا صغرت الآل، قلت: أهيل. قوله تعالى: { كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ } قال عكرمة: فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار، ونعمته على إسحاق أن نجاه من الذبح. قوله تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ } أي: عليم حيث يضع النبوة { حَكِيمٌ } في تدبير خلقه.

{ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ }

قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ } أي: في خير يوسف وقصة إخوته { آيَاتٍ } أي: عبر لمن سأل عنهم، فكل حال من أحواله آية. وقرأ ابن كثير { آيَةً } قال المفسرون: وكان اليهود قد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف، فأخبرهم بها كما في التوراة، فعجبوا من ذلك. وفي وجه هذه الآيات خمسة أقوال.

أحدها: الدلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدتهم، ولا نظر في الكتب. والثاني: ما أظهر الله في قصة يوسف من

عواقب البغي عليه. والثالث: صدق رؤياه وصحة تأويله. والرابع: ضبط نفسه وقهر شهوته حتى قام بحق الأمانة. والخامس: حدوث السرور بعد اليأس. فإن قيل: لم خص السائلين، ولغيرهم فيها آيات أيضا؟ فعنه جوابان. أحدهما: أن المعنى: للسائلين وغيرهم، فاكتفي بذكر السائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحر من البرد في قوله: {تَقِيكُمْ لِحَرِّ} [النحل: 81] والثاني: أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية، كان لغيرهم آية أيضا؟ وإنما خص السائلين، لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخبر.

{إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

قوله تعالى: {إِذْ قَالُوا} يعني. إخوة يوسف. {لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ} يعنون ابن يامين. وإنما قيل له: ابن يامين، لأن أمه ماتت نفساء. ويامين بمعنى الوجد، وكان أخاه لأمه وأبيه. والباقون إخوته لأبيه دون أمه. فأما العصبه، فقال الزجاج هي في اللغة الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضا في الفعل، ويتعصب بعضهم لبعض.

وللمفسرين في العصبه ستة أقوال. أحدها: أنها ما كان أكثر من عشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها ما بين العشرة إلى الأربعين، روي عن ابن عباس أيضا، وبه قال قتادة. والثالث: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد. والخامس: الجماعة، قاله ابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والسادس: عشرة، قاله مقاتل. وقال الفراء: العصبه عشرة فما زاد.

قوله تعالى: {إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} فيه ثلاثة أقوال. أحدها: لفي خطأ من رايه، قاله ابن زيد. والثاني: في شقاء، قاله مقاتل؛ والمراد به عناء الدنيا. والثالث: لفي ضلال عن طريق الصواب الذي يقتضي تعديل المحبة بيننا، لأن نفعنا له أعم. قال الزجاج: ولو نسبوه إلى الضلال في الدين كانوا كفارا، إنما أرادوا: إنه قدم ابنين صغيرين علينا في المحبة ونحن جماعة نفعنا أكثر.

{فُتِلُوا يُوسُفُ أَوْ طَرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}

قوله تعالى: {مُبِينٍ فُتِلُوا يُوسُفُ} قال أبو علي: قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي: «مبيناً اقتلوا» بضم التنوين، لأن تحريكه يلزم لالتقاء الساكنين، فحركوه بالضم ليتبعوا الضمة الضمة، كما قالوا: {مَدَّ} و«ظلمات» وقرأ أبو

عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، بكسر التنوين، فلم يتبعوا الضمة كما قالوا. { مَدَّ } «ظلمات». قال المفسرون: وهذا قولهم بينهم { أَوْ طَرَحُوهُ أَرْضًا } قال الزجاج: نصب «أرضاً» على إسقاط «في» وأفضى الفعل إليها؛ والمعنى: أو اطرحوه أرضاً يبعد بها عن أبيه. وقال غيره: أرضاً تأكله فيها السباع.

قوله تعالى: { يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ } أي: يفرغ لكم من الشغل بيوسف. { وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ } أي: من بعد يوسف. { قَوْمًا صَالِحِينَ } فيه قولان. أحدهما: صالحين بالتوبة من بعد قتله، قاله ابن عباس. والثاني: يصلح حالكم عند أبيكم، قاله مقاتل. وفي قصتهم نكتة عجيبة، وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب، وكذلك المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للخطايا.

{ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي غَيْبَةٍ لُّجْبٍ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * } قالوا يَا أَبَاتَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ وَنَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبَّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَلْحَاسِرُونَ } قوله تعالى: { قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثالث: روبيل، قاله قتادة، وابن إسحاق. فأما غيبة الجب، فقال أبو عبيدة: كل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيبة، والجب: الركية التي لم تطو. وقال الزجاج: الغيبة: كل ما غاب عنك، أو غيب شيئاً عنك، قال المنخل:

فإن أنا يوما غيبتنى غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

والجب: البئر التي لم تطو؛ سميت جباً من أجل أنها قطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه. وقال ابن عباس: { فِي غَيْبَةٍ لُّجْبٍ } أي: في ظلماته. وقال الحسن: في قعره. وقرأ نافع: { غَيْبَةٍ لُّجْبٍ } فجعل كل منه غيبة. وروى خارجة عن نافع: «غيابات» بتشديد الياء. وقرأ الحسن، وقاتل، ومجاهد: { غَيْبَةٍ لُّجْبٍ } بغير ألف مع إسكان الياء. وأين كان هذا الجب، فيه قولان.

أحدهما: بأرض الأردن، قاله وهب. وقال مقاتل: هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. والثاني: بيت المقدس، قاله قتادة.

قوله تعالى: {يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} قال ابن عباس: يأخذه بعض من يسير. {إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ} أي: إن أضمرتم له ما تريدون. وأكثر القراء قرؤوا «يلتقطه» بالياء. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن أبي عبلة بالتاء. قال الزجاج: وجميع النحويين يجيزون ذلك، لأن بعض السيارة سيارة، فكأنه قال: تلتقطه سيارة بعض السيارة. وقال ابن الأنباري: من قرأ بالتاء، فقد أنت فعل بعض، وبعض مذكر، وإنما فعل ذلك حملا على المعنى، إذ التأويل: تلتقطه السيارة، قال الشاعر:

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

أراد: رأت السنين، وقال الآخر:

طول الليالي أسرع في نقضي طوين طولي وطوين عرضي

أرادك: الليالي، أسرع وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

أراد: تواضعت المدينة، وقال الآخر:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

أراد: كما شرقت القناة.

قال المفسرون: فلما عزم القوم على كيد يوسف، قالوا لأبيه: {مَلِكٌ لَا تَأْمَنَّا} قرأ الجماعة «تأمنا» بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم؛ قال مكى: لأن الأصل «تأمننا» ثم أدغمت النون الأولى، وبقي الإشمام يدل على ضمة النون الأولى، والإشمام: هو ضم شفتيك من غير صوت يسمع، فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية. وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة، ويسمى الروم إشماما؛ والروم: صوت ضعيف يسمع خفيا. وقرأ أبو جعفر «تأمنا» بفتح النون من غير إشمام إلى إعراب المدغم. وقرأ الحسن «مالك لا تأمنا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمننا» بنونين على الأصل والمعنى: مالك لا تأمنا على يوسف فترسله معنا. فإنه قد كبر ولا يعلم شيئا من أمر المعاش {وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ} فيما أشرنا به عليك؛ {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا} إلى الصحراء. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا له: أرسله معنا، فقال إني ليحزنني أن تذهبوا به، فقالوا: مالك لا تأمنا.

قوله تعالى: { تَخُوضُ وَتَلْعَبُ } قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنه؛ وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب.

وفي معنى «نرتع» ثلاثة أقوال.

أحدها: نله، قاله الضحاك. والثاني: نسع، قاله قتادة. والثالث: نأكل؛ يقال: رتعت الإبل: إذا رعت، وأرتعتها: إذا تركتها ترعى. قال الشاعر:
وحبيب لي إذا لا قيته وإذا يخلوا له لحمي رتع

أي: أكله، هذا قول ابن الأنباري، وابن قتيبة. وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي: «يرتع ويلعب» بالياء فيهما وجزم العين والياء، يعنون «يوسف». وقرأ نافع: «نرتع» بكسر العين من «نرتع» من غير بلوغ إلى الياء. قال ابن قتيبة: ومعناها: نتحارس، ويرعى بعضنا بعضا، أي: يحفظ؛ ومنه يقال: رعاك الله، أي: حفظك. وقد رويت عن ابن كثير أيضا «نرتعي» باثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء «نرتع» بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين، و«نلعب» بالنون. قال أبو عبيدة: أي: نرتع إبلنا. فأما قوله: { وَتَلْعَبُ } فقال ابن عباس: نلهو.

فإن قيل: كيف لم ينكر عليهم يعقوب ذكر اللعب؟

فالجواب: من وجهين. أحدهما: أنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، قاله أبو عمرو ابن العلاء. والثاني: أنهم عنوا مباح اللعب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: { إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ يَدْهَبُوا بِهِ } أي: يحزنني ذهابكم به، لأنه يفارقني فلا أراه. { وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «الذئب» بالهمز في الثلاثة المواضع. وقرأ الكسائي، وأبو جعفر، وشيبة بغير همز. قال أبو علي: «الذئب» مهموز في الأصل. يقال بذاءيت الريح: إذا جاءت من كل جهة كما يأتي الذئب. وفي علة تخصيص الذئب بالذكر ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه رأى في منامة أن الذئب شد على يوسف، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن أرضهم كانت كثيرة الذئاب، قاله مقاتل.

والثالث: أنه خافهم عليه فكنى بذكر الذئب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: { وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } فيه قولان.

أحدهما: غافلون في اللعب. والثاني: مشتغلون برعيتكم.

قوله تعالى: {لَئِنْ أَكَلَهُ اللَّذُّبُ وَتَخُنَّ عُصْبَةُ} أي: جماعة نرى الذئب قد قصده ولا نرد عنه {إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ} أي: عاجزون. قال ابن الأنباري: ومن قرأ «عصبة» بالنصب، فتقديره: ونحن نجتمع عصبة.

{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ لُجْبٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}

قوله تعالى: {فلما ذهبوا به} في الكلام اختصار وإضمار، تقديره: فأرسله معهم فلما ذهبوا. {وَأَجْمَعُوا} أي: عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب. الإشارة إلى قصة ذهابهم

قال المفسرون: قالوا ليوسف: أما تشتاق أن تخرج معنا فتلعب وتتصيد؟ قال: بلى، قالوا: فسل أباك أن يرسلك معنا، قال: أفعل، فدخلوا بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا، فقال: ما تقول يا بني؟ قال: نعم يا أبت، قد أرى من إخوتي اللين واللطف، فأنا أحب أن تأذن لي، فأرسله معهم، فلما أصبحوا، أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، وأغلظوا له القول، وجعل يلجأ إلى هذا، فيضربه، وإلى هذا، فيؤذيه، فلما فطن لما قد عزموا عليه، جعل ينادي: يا أبتاه، يا يعقوب، لو رأيت يوسف وما ينزل به من إخوته لأحزنك ذلك وأبكأك، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك، وجعل يبكي بكاء شديدا. قال الضحاك عن ابن عباس: فأخذه روبيل فجلد به الأرض، ثم جثم على صدره وأراد قتله، فقال له يوسف: مهلا يا أخي لا تقتلني، قال: يا ابن راحيل صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه ليكسرهما، فنادى يوسف: يا يهوذا اتق الله في، وخل بيني وبين من يريد قتلي، فأدركته له رحمه، فقال يهوذا: يا إخوتاه، ألا أدلكم على أمر هو خير لكم وأرفق به؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة، قالوا: نفع! فانطلقوا به إلى الجب، فخلعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، لم نزعتم قميصي؟ ردوه علي أستر به عورتني ويكون كفنا لي في مماتي؛ فأخرج الله له حجرا في البئر مرتفعا من الماء، فاستقرت عليه قدماه. وقال السدي: جعلوا يدلونه في البئر، فيتعلق بشفير البئر؛ فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردوا علي قميصي أتواري به، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا، فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام، عليها فلما ألقوه في الجب جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. وقال كعب: جمعوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه، فبعث الله إليه ملكا، فحل عنه وأخرج له حجرا

من الماء، فقعده عليه؛ وكان يعقوب قد أدرج قميص إبراهيم الذي كساه الله إياه يوم ألقى في النار في قصبة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه إياه الملك حينئذ، وأضاء له الجب وقال الحسن: ألقى في الجب، فعذب ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب؛ ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى، نهض جبريل ليذهب، فقال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشت، فقال: إذا رهبت شيئاً فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري. فلما قالها حفته الملائكة، فاستأنس في الجب ومكث فيه ثلاثة أيام، وكان إخوته يرعون حول الجب. وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما ألقى يوسف في الجب، قال: يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب، اجعل لي فرجاً مما أنا فيه؛ قال: فما بات فيه.

وفي مقدار سنة حين ألقى في الجب أربعة أقوال. أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله الحسن.

والثاني: ست سنين، قاله الضحاك.

والثالث: سبع عشرة، قاله ابن السائب، وروي عن الحسن أيضاً. والرابع: ثمان عشرة.

قوله تعالى: { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ } فيه قولان.

أحدهما: أنه إلهام، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنه وحي حقيقة.

قال المفسرون: أوحى إليه لتخبرن إخوتك بأمرهم، أي: بما صنعوا بك وأنت عال عليهم.

وفي قوله: { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } قولان.

أحدهما: لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لا يشعرون بالوحي، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. فعلى الأول يكون الكلام من صلة «لتنبئهم»؛ وعلى الثاني من صلة «وأوحينا إليه» قال حميد:

قلت للحسين: أيجسد المؤمن المؤمن؟ قال: لا أبالك، ما نساك بني يعقوب؟
{ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ

مَتَعِنَا فَاكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ }

قوله تعالى: { وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ } وقرأ أبو هريرة، والحسن، وابن السميع، والأعمش: { عِشَاءً } بضم العين.

قال المفسرون: جاؤوا وقت العتمة ليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع، وقال: مالكم يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ {قَالُوا يَا أَبَا آدَمَ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ} وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: نتصل، قاله ابن عباس، وابن قتيبة، قال: والمعنى، يسابق بعضنا بعضاً في الرمي، والثاني: نشدت، قاله السدي. والثالث: نتصيد، قاله مقاتل. فيكون المعنى على الأول: نستبق في الرمي لننظر أين أسبق سهما؛ وعلى الثاني: نستبق على الأقدام؛ وعلى الثالث: للصيد. قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا} أي: ثيابنا. {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} أي: يصدق.

وفي قوله: {وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} قولان. أحدهما: أن المعنى: وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو كنا عندك من أهل الصدق لا تهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبتناك، قاله الزجاج.

{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ لَمُسْتَعَانٌ عَلَى مَا تُصِفُونَ

قوله تعالى: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} قال اللغويون: معناه: بدم مكذوب فيه، والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون للكذب مكذوب، وللعقل معقول، وللجلد مجلود، قال الشاعر:
حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا

أراد: عقلا. وقال الآخر:

قد والذي سمك السماء بقدره بلغ العزاء وأدرك المجلود

يريد: أدرك الجلد. ويقولون: ليس لفلان عقد رأي، ولا معقود رأي، ويقولون: هذا ماء سكب، يريدون: مسكوبا، وهذا شراب صب، يريدون: مصبوبا، وماء غور، يعنون: غائراً، ورجل صوم، يريدون: صائماً، وامرأة نوح، يريدون: نائحة؛ وهذا الكلام مجموع قول الفراء، والأحفش، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. قال ابن عباس: أخذوا جدياً فذبحوه، ثم غمسوا قميص يوسف في دمه، وأتوه به وليس فيه خرق، فقال: كذبتم، لو كان أكله الذئب لخرق القميص. وقال قتادة: كان دم ظبية. وقرأ ابن أبي عبيدة: {بِدَمٍ كَذِبًا} بالنصب. وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو العالية: «بدم كذب» بالمدال غير معجمة، أي: بدم طري.

قوله تعالى: { بَلْ سَوَّلَتْ } أي: زينت { لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً } غير ما تصفون { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } قال الخليل: المعنى: فشأنى صبر جميل، والذي أعتقده صبر جميل. وقال الفراء: الصبر مرفوع، لأنه عزي نفسه وقال: ما هو إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر، لكان نصبا. وقال قطرب: المعنى: فصبري صبر جميل. وقرأ ابن مسعود، وأبي، وأبو المتوكل: «فصبرا جميلا» بالنصب. قال الزجاج: والصبر الجميل، لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس.

قوله تعالى: { وَآلَهُ لِمُسْتَعَانٍ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } فيه قولان.

أحدهما: على ما تصفون من الكذب. والثاني: على احتمال ما تصفون { وَجَاءَتْ بِسَيَّارَةٍ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يُبَشِّرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةً وَآلَهُ عَليْمٌ يَمَّا يَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ } أي: قوم يسيرون { فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ } قال الأخفش: أنت السيارة وذكر الوارد، لأن السيارة في المعنى للرجال. وقال الزجاج: الوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم. وفي اسم هذا الوارد قولان.

أحدهما: مالك بن زعر بن يؤيب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مجلث بن رعويل، قاله وهب بن منبه. قوله تعالى: { فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ } أي: أرسلها. قال الزجاج: يقال: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها ودلوتها: إذا أخرجتها. { قَالَ يَا آدَمُ } قرأه ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يا بشراي» بفتح الياء وإثبات الألف. وروى ورش عن نافع «بشراي» و «محيائي» [الأنعام 162] و «مثواي» [يوسف: 23] بسكون الياء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي «يا بشري» بآلف بغير ياء. وعاصم بفتح الراء، وحمزة، والكسائي يميلانها. قال الزجاج: من قرأ «يا بشراي» فهذا النداء لتنبية للمخاطبين، لأن البشري لا تجيب ولا تعقل؛ فالمعنى: أبشروا، وبأيها البشري هذا من أوانك، وكذلك إذا قلت: يا عجابه، فكأنك قلت: اعجبوا، وبأيها العجب هذا من حينك؛ وقد شرحنا هذا المعنى [هود 69 و 74].

فأما قراءة من قرأ «يا بشري» فيجوز أن يكون المعنى: يا من حضر، هذه بشري. ويجوز أن يكون المعنى: يا بشري هذا أوانك على ما سبق بيانه من تنبيه الحاضرين. وذكر السدي أنه نادى بذاك أحدهم وكان اسمه بشري. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عبلة: «يا بشري» بتشديد الياء وفتحها من غير ألف. قال ابن عباس: لما أدلى دلوه؛ تعلق يوسف بالحبل فنظر إليه فإذا غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقال لأصحابه: البشري، فقالوا: ما وراءك؟ قال: هذا غلام

في البئر، فأقبلوا يسألونه الشركة فيه، واستخرجوه من الجب، فقال بعضهم لبعض: اکتموه عن أصحابکم لتلا يسألونکم الشركة فيه، فإن قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر؛ فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البئر، فنظروا، فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف، فقالوا لهم: هذا غلام أبق منا، فقال مالك بن زعر: فأنا أشتريه منكم، فباعوه بعشرين درهما وحلة ونعلين، واسره مالك بن زعر من أصحابه، وقال: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر.

قوله تعالى: { غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةٌ } قال الزجاج: «بضاعة» منصوب على الحال، كأنه قال: وأسروه جاعليه بضاعة. وقال ابن قتيبة: أسروا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة. في الفاعلين لذاك قولان. أحدهما: أنهم واردوا الجب. أسروا ابتياعه عن باقي أصحابهم، وتواصوا أنه بضاعة استبضعهم إياها أهل الماء؛ وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والثاني: أنهم إخوته، أسروا أمره، وباعوه، وقالوا: هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس أيضا.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } يعم الباعة والمشتريين. { وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ } قوله تعالى: { وَشَرَوْهُ } هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته؛ وشريته؛ بمعنى اشتريته. فإن كان بمعنى باعه، ففيهم قولان. أحدهما: أنهم إخوته، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوته، قاله الحسن، وقتادة. وإن كان بمعنى اشتروه، فإنهم السيارة.

قوله تعالى: { بِثَمَنٍ بَخْسٍ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الحرام، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي، قال ابن قتيبة: البخس: الخسيس الذي بخس به البائع.

والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهما في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: { دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ } قال الفراء: إنما قيل: «معدودة» ليستدل بها على القلة. وقال ابن قتيبة: أي: يسيرة، سهل عددها لقلتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يزنون أقل من أربعين درهما، وقيل: إنما لم يزنوها لزهدهم فيه.

وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال.

أحدها: عشرون درهما، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، وعكرمة في رواية، ونوف الشامي، ووهب بن منبه، والشعبي، وعطية، والسدي، ومقاتل في آخرين.

والثاني: عشرون درهما وحلة، ونعلان، روي عن ابن عباس أيضا.
والثالث: اثنان وعشرون درهما، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والرابع: أربعون درهما، قاله عكرمة في رواية، وابن إسحاق.
والخامس: ثلاثون درهما، ونعلان، وحلة، وكانوا قالوا له بالعبرانية: إما أن تقر لنا بالعبودية، وإما أن نأخذك منهم فنقتلك، قال: بل أقر لكم بالعبودية، ذكره إسحاق بن بشر عن بعض أشياخه.

قال المفسرون: اقتسموا ثمنه، فاشتروا به نعلا وخفافا.
وكان بعض الصالحين يقول: والله ما يوسف - وإن باعه أعداؤه - بأعجب منك في بيعك نفسك بشهوة ساعة من معاصيك.

قوله تعالى: { وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ } الزهد: قلة الرغبة في الشيء.
وفي المشار إليهم قولان. أحدهما: أنهم إخوته، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، في هاء فيه قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريج. والثاني: أنها ترجع إلى الثمن. وفي علة زهدهم قولان. أحدهما: رداً له. والثاني: أنهم قصدوا بعد يوسف، لا الثمن.

والثاني: أنهم السيارة الذين اشتروه.
وفي علة زهدهم ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم ارتابوا لقلة ثمنه. والثاني: أن إخوته وصفوه عندهم بالخيانة والإباق. والثالث: أنهم علموا أنه حر.

{ وَقَالَ لِيُذِيَ يَنْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }
قوله تعالى: { وَقَالَ لِيُذِيَ يَنْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ } قال وهب: لما ذهبت به السيارة إلى مصر، وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع، فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً، ووزنه ورقاً، ووزنه حريراً، فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمناً. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير من مالك بن ذعر بعشرين ديناراً، وزوجي نعل، وثوبين أبيضين، فلما رجع إلى منزله قال لامرأته: أكرمي مثواه. وقال قوم: اسمه أطفير.

وفي اسم المرأة قولان. أحدهما: رعايل بنت عايل، قاله ابن إسحاق. والثاني: أزليخا بنت تملیخا، قاله مقاتل. قال ابن قتيبة: «أكرمي مثواه» يعني أكرمي منزله ومقامه عندك، من قولك: ثويت بالمكان: إذا أقمت به. وقال الزجاج: أحسني إليه في طول مقامه عندنا. قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لإمرأته: «أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا» وابنة شعيب حين قالت: {إِحْدَاهُمَا يَأْتِي سِتِّجِرُهُ} [القصص 26]، وأبو بكر حين استخلف عمر.

وفي قوله: {عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا} قولان. أحدهما: يكفيننا إذا بلغ أمورنا. والثاني: بالربح في ثمنه.

قوله تعالى: {أَوْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا} قال ابن عباس: تتبناه. وقال غيره: لم يكن لهما ولد، وكان العزيز لا يأتي النساء.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ} أي: وكما أنجينا من إخوته وأخرجناه من ظلمة الجب، مكنا له في الأرض، أي: ملكناه في أرض مصر فجعلناه على خزائنها. {وَلِنُعَلِّمَهُ} قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في «ولنعلمه» لفعل مضمر هو المجتلب للام، والمعنى: مكنا ليوسف في الأرض، واختصناه بذلك لكي نعلمه من تأويل الأحاديث. وقد سبق «تفسير تأويل الأحاديث» [يوسف 6] {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ} في هاء الكناية قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: أنه غالب على ما أراد من قضائه، وهذا معنى قول ابن عباس.

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} قد ذكرنا معنى الأشد في [الأنعام 152]، واختلف العلماء في المراد به هاهنا على ثمانية أقوال. أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه عسدي بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة. والثاني: ثمانين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أربعون سنة، قاله الحسن. والرابع: بلوغ الحلم، قاله الشعبي، وربيع، وزيد بن أسلم، وابنه. والخامس: عشرون سنة، قاله الضحاك. والسادس: أنه من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، قاله الزجاج. والسابع: أنه بلوغ ثمان وثلاثين سنة، حكاه ابن قتيبة. والثامن: ثلاثون سنة، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: {آتَيْنَاهُ حُكْمًا} فيه أربعة أقوال. أحدها: أنه الفقه والعقل، قاله مجاهد. والثاني: النبوة، قاله ابن السائب.

والثالث: أنه جعل حكيمًا، قاله الزجاج، قال: وليس كل عالم حكيمًا، إنما الحكيم: العالم المستعمل علمه، الممتنع به من استعمال ما يجهل فيه. والرابع: أنه الإصابة في القول، ذكره الثعلبي. قال اللغويون: الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ، ويمنع منهما، ويرد النفس عما يشينها ويعود عليها بالضرر، ومنه: حكمة الدابة. وأصل أحكمت في اللغة: منعت، وسمي الحاكم حاكمًا، لأنه يمنع من الظلم والزيغ.

وفي المراد بالعلم هاهنا قولان. أحدهما: الفقه والثاني علم الرؤيا. قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } أي: ومثل ما وصفنا من تعلم يوسف وحراسته، نثيب من أحسن عمله، واجتنب المعاصي، فننجاه من الهلكة، ونستنفذه من الضلالة فنجعله من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف. وفي المراد بالمحسنين هاهنا ثلاثة أقوال.

أحدها: الصابرون على النوائب. والثاني: المهتدون، روي عن ابن عباس. والثالث: المؤمنون. قال محمد بن جرير: هذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: كما فعلت بيوسف بعد ما لقي من البلاء فمكنته في الأرض وأتته العلم، كذلك أفعل بك وأنجيك من مشركي قومك.

{ وَرَاوَدَتْهُ لَيْتَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }
قوله تعالى: { وَرَاوَدَتْهُ لَيْتَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ } أي: طلبت منه الواقعة، وقد سبق اسمها. قال الزجاج: المعنى: راودته عما أرادت مما يريد النساء من الرجال. { وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ } قرأ ابن كثير: «هيت لك» بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «هيت لك» بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وهي مروية عن علي بن أبي طالب. وروى الحلواني عن هشام عن ابن عامر مثله، إلا أنه همزه. قال أبو علي الفارسي: هو خطأ. وروي عن ابن عامر: «هئت لك» بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وقتادة. قال الزجاج: هو من الهيئة، كأنها قالت: تهيات لك. وعن ابن محيصن، وطلحة بن مصرف، مثل قراءة ابن عباس؛ إلا أنها بغير همز، وعن ابن محيصن بفتح الهاء وكسر التاء، وهي قراءة أبي رزين، وحميد. وعن الوليد بن عتبة بكسر الهاء والتاء مع الهمز، وهي قراءة أبي العالية. وقرأ ابن خثيم مثله، إلا أنه لم يهمز. وعن الوليد بن مسلم عن نافع بكسر الهاء وفتح التاء مع الهمز، وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن يعمر، والجحدري: «هيت لك» برفع الهاء والتاء وبياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة. وقرأ

أبي بن كعب: «ها أنا لك». وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء بغير همز. قال الزجاج: وهو أجود اللغات، وأكثرها في كلام العرب، ومعناها: هلم لك، أي: أقبل على ما أدعوك إليه، وقال الشاعر:

أبلغ أمير المؤمنين أبا العرق إذا أتيتا أن العرق وأهله عنق إليك فهيت هيتا

أي: فأقبل وتعال. وقال ابن قتيبة: يقال: هيت فلان لفلان: إذا دعاه وصاح به، قال الشاعر:

قد رابني أن الكري أسكتا لو كان معنيا بها لهيتا

أي: صار ذا سكوت. واختلف العلماء في قوله: «هيت لك» بأي لغة هي، على أربعة أقوال.

أحدها: أنها عربية، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخر، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرف، ولا تثنية، ولا جمع، ولا تانيث، يقال للثنين: هيت لكما، وللجميع: هيت لكم، وللنسوة: هيت لكن. والثاني: أنها بالسريانية، قاله الحسن.

والثالث: بالهورانية، قاله عكرمة، والكسائي. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها.

والرابع: أنها بالقبطية، قاله السدي.

قوله تعالى: { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ } قال الزجاج: هو مصدر، والمعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا، يقال: عذت عيادا ومعادا ومعادة. { إِنَّهُ رَبِّي }. أي: إن العزيز صاحبي { أَحْسَنَ مَثْوَايَ }، قال: ويجوز أن يكون «إنه ربي» يعني الله عز وجل «أحسن مثواي» أي: تولاني في طول مقامي.

قوله تعالى: { إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } أي: إن فعلت هذا فخننته في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم. وقيل: الظالمون هاهنا: الزناة.

{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّرَّةَ وَ لِفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا لَمُخْلِصِينَ }

قوله تعالى: { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ } الهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقفته مالم يواقع. فأما هم أزيخا، فقال المفسرون: دعته إلى نفسها واستلقت له. واختلفوا في همه بها على خمسة أقوال.

أحدها: أنه كان من جنس همها، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وهو قول عامة

المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير، وابن الأباري. وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان، وهم بي، وأنت تريد: اختلف الهمين. واحتج من نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر، ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه. قالوا: ورجوعه عما هم به من ذلك خوفاً من الله تعالى يمحو عنه سيء الهم، ويوجب له علو المنازل، ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ثلاثة خرجوا فلبجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل عمله. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبى إلا بمائة دينار، فلما أتيتها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة، أرعدت وقالت: إن هذا لعمل ما عملته قط، فقامت عنها وأعطيتها المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فزال ثلث الحجر. والحديث معروف، وقد ذكرته في «الحدائق» فعلى هذا نقول: إنما هممت، فترقت همتها إلى العزيمة، فصارت مصرة على الزنا. فأما هو، فعارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب، وحديث النفس، من غير عزم، فلم يلزمه هذا الهم ذنباً، فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد، فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هجس في نفسه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المصرون» وليس الإصرار إلا عزم القلب، فقد فرق بين حديث النفس وعزم القلب. وسئل سفيان الثوري: أيؤاخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزيمة، ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها عليه سيئة» واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: «قال معاذ الله إنه ربي» وقوله: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء» وكل ذلك إخبار ببراءة ساحة من العزيمة على المعصية.

فإن قيل: فقد سوى القرآن بين الهمتين، فلم فرقتم؟

فالجواب: أن الاستواء وقع في بداية الهمة، ثم ترقت همتها إلى العزيمة، بدليل مراودتها واستلقائها بين يديه، ولم تتعد همته مقامها، بل نزلت عن رتبته، وانحل معقودها، بدليل هربه منها، وقوله: «معاذ الله». وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم. ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه

حل السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا، دل على العزم،
والأنبياء معصومون من العزم على الزنا.
والقول الثاني: أنها همت به أن يفرشها، وهم بها، أي: تمناها أن تكون له
زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس.
والقول الثالث: أن في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن
رأى برهان ربه لهم بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم، فقدم جواب
«لولا» عليها، كما يقال: قد كنت من الهالكين، لولا أن فلانا خلصك، لكنت من
الهالكين، ومنه قول الشاعر:

فلا يدعني قومي صريحا لحره لئن كنت مقتولا وتسلم عامر
أراد: لئن كنت مقتولا وتسلم عامر، فلا يدعني قومي، فقدم الجواب. وإلى هذا
القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب
«لولا» عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب، فأما البيت
المستشهد به، فمن اضطرار الشعراء، لأن الشاعر يضيق الكلام به عند
اهتمامه بتصحيح أجزاء شعره، فيضع الكلمة في غير موضعها، ويقدم ما حكمه
التأخير، ويؤخر ما حكمه التقديم، ويعدل عن الاختيار إلى المستقبح للضرورة،
قال الشاعر:

جزى ربه عني عدي بن حاتم بتركي وخذلاني جزاء موفرا

تقديره: جزى عني عدي بن حاتم ربه، فاضطره إلى تقديم الرب، وقال الآخر:
لما جفا إخوانه مصعبا أدى بذلك البيع صاعا بصاع

أراد: لما جفا مصعبا إخوانه، وأنشد الفراء:
طلبا لعرفك يا ابن يحيى بعدما تقطعت بي دونك الأسباب

فزاد تاء على «تقطعت» لا أصل لها ليصلح وزن شعره،
وأنشد ثعلب:
إن شكلي وإن شكلك شتى فالزمي الخفض وانعمي تبيضني

فزاد ضادا لا أصل لها لتكمل أجزاء البيت، وقال الفرزدق:
هما تفلأ في في من فموبهما على النابح العاوي أشد لجاميا

فزاد واوا بعد الميم ليصلح شعره. ومثل هذه الأشياء لا يحمل عليها كتاب الله النازل بالفصاحة، لأنها من ضرورات الشعراء. والقول الرابع: أنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه إن ضربها كان ضربه كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضررتني، ذكره ابن الأنباري. والقول الخامس: أنه هم بالفرار منها، حكاة الثعلبي، وهو قول مردول، أفتراه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها؟ قال بعض العلماء: كان هم يوسف خطيئة من الصغائر الجائزة على الأنبياء، وإنما ابتلاهم بذلك ليكونوا على خوف منه، وليعرفهم مواقع نعمته في الصفح عنهم، وليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة. قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعبيرا لهم، ولكن لئلا تقنطوا من رحمته. يعني الحسن: أن الحجة للأنبياء ألزم، فإذا قبل التوبة منهم، كان إلى قولها منكم أسرع. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنه قال: «ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلى يحيى بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعملها». قوله تعالى: {لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} جواب «لولا» محذوف. قال الزجاج: المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به. قال ابن الأنباري: لزنا، فلما رأى البرهان كان سبب انصراف الزنا عنه. وفي البرهان ستة أقوال.

أحدها: أنه مثل له يعقوب. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: نودي يا يوسف، أتزني فتكون مثل الطائر الذي نتف ريشه فذهب يطير فلم يستطع؟ فلم يعط على النداء شيئا، فنودي الثانية، فلم يعط على النداء شيئا، فتمثل له يعقوب فضرب صدره، فقام، فخرجت شهوته من أنامله. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاضا على أنامله، فأدبر هاربا، وقال: وحقك يا أبت لا أعود أبدا. وقال أبو صالح عن ابن عباس: رأى مثال يعقوب في الحائط عاضا على شفثيه. وقال الحسن: مثل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على إبهامه أو بعض أصابعه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن سيرين، والضحاك في آخرين. وقال عكرمة: كل ولد يعقوب، قد ولد له اثنا عشر ولدا، إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا، فنقص بتلك الشهوة ولدا. والثاني: أنه جبريل عليه السلام. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس. قال: مثل له يعقوب فلم يزدجر، فنودي: أتزني فتكون مثل الطائر نتف ريشه؟ فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره، فوثب.

والثالث: أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: استحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السواة، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت؟ فهو البرهان الذي رأى، قاله علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، والضحاك.

والرابع: أن الله بعث إليه ملكا، فكتب في وجه المرأة بالدم: {وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} قاله الضحاك عن ابن عباس. وروي عن محمد ابن كعب القرظي: أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيها، وفي رواية أخرى عنه، أنه رآها مكتوبة في الحائط. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب {وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الاسراء 32]، فقام هاربا، وقامت، فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد، فلما قعد إذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب {وَأَقْبُوا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة 281]، فقام هاربا، فلما عاد، قال الله تعالى لجبرئيل: أدرك عبي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاضا على كفه أو أصبعه وهو يقول: يا يوسف، أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء؟ وقال وهب بن منبه: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية {أَقْمَرٌ هُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}، فانصرفا، فلما عادا رجعت وعليها مكتوب {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كَرَامًا كَاتِبِينَ} [الأنفطار 11 12] فانصرفا، فلما عادا عادت وعليها مكتوب {وَلَا تَقْرُبُوا} الآية، فعاد، فعادت الرابعة وعليها مكتوب {تَعْلَمُونَ وَ أَقْبُوا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}، فولى يوسف هاربا.

الخامس: أنه سيده العزيز دنا من الباب، رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم. وقال ابن إسحاق: يقال:

إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب.

والسادس: أن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنا، روي عن محمد بن كعب القرظي، قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب «المغني في التفسير» وكيف يظن بنبي لله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر؟ هذا غاية القبح.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ} أي: كذلك أريناه البرهان {لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ} وهو خيانة صاحبه {وَلَفَحَشَاءَ} ركوب الفاحشة {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} قرأ

ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

{ وَ يُتَّبَقَا لِبَابٍ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى لِبَابٍ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ }
قوله تعالى: { وَ يُتَّبَقَا لِبَابٍ } يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي أن تسبق إمساك الباب لئلا يخرج، فأدرسته فتعلقت بقميصه من خلفه، فجذبتة إليها، فقدت قميصه من دبر، أي: قطعته من خلفه، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له. قال المفسرون: قطعت قميصه نصفين، فلما خرجا ألفيا سيدها، أي: صادفا زوجها عند الباب، فحضرها في ذلك الوقت كيد، فقالت سابقة بالقول مبرئة لنفسها من الأمر { مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا } قال ابن عباس: تريد الزنى { إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ } أي: ما جزاؤه إلا السجن { أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } تعني الضرب السياط، فغضب يوسف حينئذ وقال: { هِيَ رَاوَدْتَنِي } وقال وهب ابن منبه: قال له العزيز حينئذ: اخنتني يا يوسف في أهلي، وغدرت بي، وغررتني بما كنت أرى من صلاحك؟ فقال حينئذ: { هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي }.

قوله تعالى: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } وذلك أنه لما تعارض قولاهما، احتاجا إلى شاهد يعل به قول الصادق. وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال. أحدها: أنه كان صبيا في المهدي، رواه عكرمة عن ابن عباس، وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، وهلال بن يساف في آخرين.

والثاني: أنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وقال أبو صالح عن ابن عباس: كان ابن عم لها، وكان رجلا حكيما، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة، وقال بعضهم كان ابن خالة المرأة.

والثالث: أنه شق القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله: «من أهلها».

فإن قيل:

كيف وقعت شهادة الشاهد ها هنا معلقة بشرط، والشارط غير عالم بما يشترطه؟

فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري.

أحدهما: أن الشاهد شاهد بأمر قد علمه، فكأنه سمع بعض كلام يوسف

وأزليخا، فعلم، غير أنه أوقع في شهادته شرطا ليلزم المخاطبين قبول شهادته

من جهة العقل والتمييز، فكأنه قال: هو الصادق عندي، فإن تدبرتم ما

اشترطه لكم، عقلتم قولي. ومثل هذا قول الحكماء: إن كان القدر حقا،

فالحرص باطل، وإن كان الموت يقينا، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

والجواب الثاني: أن الشاهد لم يقطع بالقول، ولم يعلم حقيقة ما جرى، وإنما

قال ما قال على جهة إظهار ما يسنح له من الرأي، فكان معنى قوله: «وشهد

شاهد» أعلم وبين. فقال: الذي عندي من الرأي أن نقيس القميص ليقف

على الخائن. فهذان الجوابان يدلان على أن المتكلم رجل. فإن قلنا: إنه صبي

في المهد، كان دخول الشرط مصححا لبراءة يوسف، لأن كلام مثله أعجوبة

ومعجزة لا يبقى معها شك.

{ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدِّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ }

قوله تعالى: { فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ } في هذا الرائي والقائل: { إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ }

قولان.

أحدهما: أنه الزوج. والثاني: الشاهد.

وفي هاء الكناية في قوله: «إنه من كيدكن» ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى تمزيق القميص، قاله مقاتل.

والثاني: إلى قولها: «ما جزاء من أراد بأهلك سوءا» فالمعنى: قولك هذا من

كيدكن، قاله الزجاج.

والثالث: إلى السوء الذي دعت إليه، ذكره الماوردي. قال ابن عباس: «إن

كيدكن» أي: عملكن «عظيم» تخلصن البريء والسقيم.

{ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَرَأَى لِيَدَيْهِ إِذْ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ

نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ مُرَاتٌ لِعَزِيزٍ تَرْاودُ فَتَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا

فِي صَلَلٍ مُّبِينٍ }

قوله تعالى: { يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا } المعنى: يا يوسف أعرض.

وفي القائل له هذا قولان.

أحدهما: أنه ابن عمها وهو الشاهد، قاله ابن عباس.
والثاني: أنه الزوج، ذكره جماعة من المفسرين. قال ابن عباس: أعرض عن هذا الأمر فلا تذكره لأحد، واكتمه عليها. وروى الحلبي عن عبد الوراث: «يوسف أعرض عن هذا» بفتح الراء على الخبر.
قوله تعالى: { وَ سُبِّحْ لِيْلَٰهٖ لِيْلَٰهٖ } فيه قولان.
أحدهما: استعفي زوجك لئلا يعاقبك، قاله ابن عباس.
والثاني: توبي من ذنبك فإنك قد أثمت.
وفي القائل لهذا قولان. أحدهما: ابن عمها. والثاني: الزوج.
قوله تعالى: { إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ } يعني: من المذنبين. قال المفسرون: ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدث بذلك النساء، وهو قوله: { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ } وفي عددهن قولان.
أحدهما: أنهن كن أربعاً: امرأة ساقى الملك، وامرأة صاحب دوانه، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب سجنه، قاله ابن عباس.
والثاني: أنهن خمس، امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة السجن، وامرأة صاحب الدواة، وامرأة الأذن، قاله مقاتل.
فأما العزيز، فهو بلغتهم الملك، والفتى بمعنى العبد. قال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى. وإنما تكلم النسوة في حقها، طعنا فيها، وتحقيقاً لبراءة يوسف.
قوله تعالى: { قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } أي: بلغ حبه شغاف قلبها.
وفي الشغاف أربعة أقوال.
أحدها: أنه جلدة بين القلب والفؤاد، رواه عكرمة عن ابن عباس.
والثاني: أنه غلاف القلب، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: ولم يرد الغلاف، إنما أراد القلب، يقال: شغفت فلانا: إذا أصبت شغافه، كما يقال: كبذته: إذا أصبت كبده، وبطنته: إذا أصبت بطنه.
والثالث: أنه حبة القلب وسويداؤه/
والرابع: أنه داء يكون في الجوف في الشراسيف، وأنشدوا:
وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الأصابع
ذكر القولين الزجاج.
وقال الأصمعي: الشغاف عند العرب: داء يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن، والشراسيف: مقاط رؤوس الأضلاع، واحدها: شرسوف.

وقرأ عبد الله بن عمرو، وعلي بن الحسين، والحسن البصري، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبلة «قد شفعها» بالعين. قال الفراء: كأنه ذهب بها كل مذهب، والشعف: رؤوس الجبال. قوله تعالى: { إِنَّا لَنَرَاهَا فِي صَلِّ مُبِينٍ } أي: عن طريق الرشد، لحبها إياه. والمبين: الظاهر.

{ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ خُزِّجْ عَلَيْنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ لِذِي لِمْنٍ فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ }

قوله تعالى: { فلما سمعت } يعني: امرأة العزيز، { سمعت بمكرهن } وفيه قولان.

أحدهما: أنه قولهن وعيبن لها، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. قال الزجاج: وإنما سمي هذا القول مكرًا، لأنها كانت أطلعتهن على أمرها، واستكتمتهن، فمكرن وأفشين سرها. والثاني: أنه مكر حقيقة، وإنما قلن ذلك مكرًا بها لتريهن يوسف، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: { وَأَعْتَدَتْ } قال الزجاج: أفعلت من العتاد، وكل ما اتخذته عدة لشيء فهو عتاد، والعتاد: الشيء الثابت اللازم. وقال ابن قتيبة: أعتدت بمعنى أعدت. فاما المتكأ، ففيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه المجلس، فالمعنى: هيأت لهن مجلسًا، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أنه الوسائد اللائي يتكئن عليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الزجاج: المتكأ: ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث.

والثالث: أنه الطعام، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة. قال ابن قتيبة: يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا، قال جميل بن معمر:

فظللنا في نعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله

والأصل في هذا أن من دعوته ليطعم، أعددت له التكاة للمقام والطمأنينة، فسمي الطعام متكأ على الاستعارة. قال الأزهري: إنما قيل للطعام: متكأ، لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا، ونهيت هذه الأمة عن ذلك. وقرأ مجاهد «متكأ» باسكان التاء خفيفة، وفيه أربعة أقوال.

أحدها: أنه الأترج، قاله ابن عباس، ومجاهد، ويحيى بن يعمر في آخرين، ومنه قول الشاعر:

نشرب الإثم بالصواع جهارا وترى المتك بيننا مستعارا

يريد:
{ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ * فَسَلِّتْ جَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصْرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ } قال وهب بن منبه: لما قالت: «فذلكن الذي لمتنني فيه» قلن: لا لوم عليك، قالت: فاطلبن إلى يوسف أن يسعفني بحاجتي، فقلن: يا يوسف افعل، فقالت: لئن لم يفعل لأخلدنه السجن، فعند ذلك قال: { رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ } وقرأ يعقوب: «السجن» بفتح السين هاهنا فحسب. قال الزجاج: من كسر سين «السجن» فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية، ومن فتح، فعلى المصدر، المعنى: أن أسجن أحب إلي. { وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ } أي: إلا تعصمني { أَضْبُ إِلَيْهِنَّ } أي: أمل إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صبوا وصبوا وصباء: إذا مال. وقال ابن الأنباري: ومعنى هذا الكلام: اللهم اصرف عني كيدهن، ولذلك قال: { فَسَلِّتْ جَابَ لَهُ رَبُّهُ }. قال: فإن قيل: إنما كادته امرأة العزيز وحدها، فكيف قال «كيدهن» فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة في السفن، وهو لم يخرج إلا في سفينة واحدة. والثاني: أن المكني عنه امرأة العزيز والنسوة اللاتي عاضدنها على أمرها. والثالث: أنه عنى امرأة العزيز وغيرها من نساء العالمين اللاتي لهن مثل كيدها.

{ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْاْ آيَاتٍ لَّيْسُجُنَّتْ حَتَّىٰ حِينٍ }
قوله تعالى: { ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْاْ آيَاتٍ } في المراد بالآيات ثلاثة أقوال. أحدها: أنها شق القميص، وقضاء ابن عمها عليها، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنها قد القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي، وإعظام النساء إياه، رواه مجاهد عن ابن عباس.

والثالث: جماله وعفته، ذكره الماوردي. قال وهب بن منبه: فأشار النسوة عليها بسجنه رجاء أن يستهوينه حين يخلو لهن في السجن، وقلن: متى سجنته قطع ذلك عنك قاله الناس التي قد شاعت، ورأوا أنك تبغضينه، ويذله السجن لك، فلما انصرفن عادت إلى مراودته فلم يزد إلا بعدا عنها، فلما يئست، قالت لسيدها: إن هذا العبد قد فضحني، وقد أبغضت رؤيته، فائذن لي في سجنه، فأذن لها، فسجنته وأضرت به. وقال السدي: قالت: إما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر بعذري، وإما أن تحبسه كما حبستني، فظهر للعزيز واصحابه من الرأي حبس يوسف. قال الزجاج: كان العزيز أمر بالإعراض، فقط ثم تغير رأيه عن ذلك. قال ابن الأنباري: وفي معنى الآية قولان. أحدهما: «ثم بدا لهم» أي: ظهر لهم بالقول والرأي والفكر سجنه. والثاني: ثم بدا لهم في يوسف بدء، فقالوا: والله لنسجنه، فاللام جواب يمين مضمرة. فاما الحين، فهو يقع على قصير الزمان وطويله. وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أقوال.

أحدها: خمس سنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سنة، روي عن ابن عباس أيضا. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: إلى انقطاع القالة، قاله عطاء. والخامس: أنه زمان غير محدود، ذكره الماوردي، وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة، وإنما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

{ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي أَتَى أَعْصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ لِي أَتَى أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْرًا تَأْكُلُ اللَّطِيْرُ مِنْهُ نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ لِمُحْسِنِينَ }

قوله تعالى: { وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانَ } قال الزجاج: فيه دليل على أنه حبس، وإن لم يذكر ذلك. و «فتيان» جائز أن يكونا حديثين أو شيخين، لأنهم يسمون المملوك فتى. قال ابن الأنباري: إنما قال: «فتيان» لأهما كانا مملوكين، والعرب تسمي المملوك فتى، شابا كان أو شيخا. قال المفسرون: عمر ملك مصر فملوه: فدسوا إلى خبازه وصاحب شرابه أن يسماه، فبلغه ذلك فحبسهما، فكان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتين: هلم فلنجرب هذا العبد العبراني.

واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها كانت كذبا، وإنما سألاه تجريبا، قاله ابن مسعود، والسدي. والثاني: أنها كانت صدقا، قاله مجاهد، وابن إسحاق. والثالث: أن الذي صلب منهما كان كاذبا، وكان الآخر صادقا، قاله أبو مجلز.

قوله تعالى: { قَالَ أَحَدُهُمَا } يعني الساقى { إِنِّي أَرَانِي } أي: في النوم { أَغْصِرُ خَمْرًا } أي: عنبا. وفي تسمية العنب خمرا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه سماه باسم ما يؤول إليه، لأن المعنى لا يلتبس. كما يقال: فلان يطبخ الآجر ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللبن ويصنع التمر، وهذا قول أكثر المفسرين. قال ابن الأنباري: وإنما كان كذلك، لأن العرب توقع بالفرع ما هو واقع بالأصل، كقولهم: فلان يطبخ آجرا.

والثاني: أن الخمر في لغة أهل عمان اسم للعنب، قاله الضحاك، والزجاج. قال ابن القاسم: وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها. والثالث: أن المعنى: أعصر عنب خمر، وأصل خمر، وسبب خمر، فحذف المضاف، وخلفه المضاف إليه، كقوله: { وَ سَيَلَّ لِقَرِيَّةَ } [يوسف 82] قال أبو صالح عن ابن عباس: رأى يوسف ذات يوم الخبز والساقى مهمومين، فقال: ما شأنكما؟ قالا: رأينا رؤيا، قال: قصاها علي، قال الساقى: إني رأيت كأنني دخلت كرما فجئيت ثلاثة عناقيد، عنب فعصرتهن في الكأس، ثم أتيت به الملك فشربه، وقال الخباز: رأيت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلاهن فأكل منها، { تَبْنَتَا بِتَأْوِيلِهِ } أي: أخبرنا بتفسيره. وفي قوله: { إِنَّا تَرَاكَ مِنْ لِمُحْسِنِينَ } خمسة أقوال.

أحدها: أنه كان يعود المرضى ويداويهم ويعزي الحزين، رواه مجاهد عن ابن عباس.

والثاني: إنا نراك محسنا إن أنبأتنا بتأويله، قاله ابن إسحاق.

والثالث: إنا نراك من العالمين قد أحسنت العلم، قاله الفراء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا يكون مفعول الإحسان محذوفا، كما حذف في قوله: { وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } [يوسف 49] يعني العنب والسَّمْسَم. وإنما علموا أنه عالم، لنشره العلم بينهم.

والرابع: إنا نراك ممن يحسن التأويل، ذكره الزجاج.

والخامس: إنا نراك محسنا إلى نفسك بلزومك طاعة الله، ذكره ابن الأنباري. { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزَرَّقَانِهِ إِلَّا تَبَأْتِكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي } إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَ تَبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرِهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَصَاحِبِي السَّجْنَ ءَأَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ لَوْ أَحَدٌ لِقَهَّارُ { قوله تعالى: { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزَرَّقَانِهِ } في معنى: الكلام قولان:

أحدهما: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا أخبرتكما به قبل أن يصل إليكما، لأنه كان يخبر بما غاب كعيسى عليه السلام، وهو قول الحسن. والثاني: لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة، هذا قول السدي. قال ابن عباس: فقالا له: وكيف تعلم ذلك، ولست بساحر، ولا عراف، ولا صاحب نجوم؛ فقال: {ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} فإن قيل: هذا كله ليس بجواب سؤالهما، فإين جواب سؤالهما؟ فعنه أربعة أجوبة.

أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى نصيبهما من الآخرة، قاله قتادة.

والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما، قاله ابن جريج. والثالث: أنه ابتداء بدعائهما إلى الإيمان قبل جواب السؤال، قاله الزجاج. والرابع: أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما ليعرضنا عن مطالبته بالجواب فلما ألحا أجابهما، ذكره ابن الأنباري. فأما الملة فهي الدين. وتكرير قوله: {هُمُ} للتوكيد.

قوله تعالى: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} قال ابن عباس: يريد: أن الله عصمنا من الشرك {ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا} أي: اتباعنا الإيمان بتوفيق الله: {وَعَلَى النَّاسِ} يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه. وقال ابن عباس: «ذلك» من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء «وعلى الناس» أن بعثنا إليهم، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} من أهل مصر {لَا يَشْكُرُونَ} نعم الله في وحدونه. قوله تعالى: {مُنْفَرِقُونَ خَيْرٌ} يعني: الأصنام من صغير وكبير {خَيْرٌ} أي: أعظم صفة في المدح {أَمْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ لِقَهَّارٌ} يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام؟ فأما الواحد، فقال الخطابي: هو الفرد الذي لم يزل وحده، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الأحاد من الأجسام المؤلفة، فإن كل شيء سواه يدعى واحدا من جهة، غير واحد من جهات، والواحد لا يشئ من لفظه، لا يقال: واحدان. والقهار: الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت. وقال غيره: القهار: الذي قهر كل شيء فذله، فاستسلم وذل له.

{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لِحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} * يَصَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضِيءٌ الْأَمْرُ لِيذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ {

قوله تعالى: { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ } إنما جمع في الخطاب لهما لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما. وقوله: «من دونه» أي من دون الله { إِلَّا أَسْمَاءُ } يعني: الأرياب والآلهة، ولا يصح معاني تلك الأسماء للأصنام، فكأنها أسماء فارغة، فكأنهم يعبدون الأسماء، لأنها لا تصح معانيها. { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } أي: من حجة بعبادتها. { إِنْ لِحُكْمٍ إِلَّا لِلَّهِ } أي: ما القضاء والأمر والنهي إلا له. { ذَلِكَ الَّذِي لَقِيتُمْ } أي: المستقيم يشير إلى التوحيد. { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } فيه قولان.

أحدهما: لا يعلمون أنه لا يجوز عبادة غيره. والثاني: لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب.

قوله تعالى: { أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا } الرب هاهنا: السيد. قال ابن السائب: لما قص الساقى رؤياه على يوسف، قال له: ما أحسن ما رأيت أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام، يبعث إليك الملك عند انقضائها، فيردك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز: بئس ما رأيت، السلال الثلاث، ثلاثة أيام، ثم يبعث إليك الملك عند انقضائهن، فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: { قُضِيَ الْأَمْرُ لِذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ } أي: فرغ منه، وسبق بكما، صدقتما أو كذبتما.

فإن قيل: لم حتم على وقوع التأويل، وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنه حتم ذلك لوحي أتاه من الله، وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: «قضي الأمر» دل على أنه بوحى.

والثاني: أنه لم يحتم، بدليل قوله: «وقال للذي ظن أنه ناج منهما». قال أصحاب هذا الجواب: معنى «قضي الأمر»:

قطع الجواب الذي التمسناه من جهتي، ولم يعن أن الأمر واقع بكما، وقال أصحاب الجواب الأول: الظن هاهنا بمعنى العلم.

{ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا لُكْرِنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَانْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ }

قوله تعالى: { وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا } يعني الساقى. وفي هذا الظن قولان.

أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الظن الذي يخالف اليقين، قاله قتادة.

قوله تعالى: { لُكْرِنِي عِنْدَ رَبِّكَ } أي: عند صاحبك، وهو الملك، وقل له: إن في السجن غلاماً حبس ظلماً. واسم الملك: الوليد بن الريان.

قوله تعالى: { فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } فيه قولان. أحدهما: فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف لربه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن إسحاق. والثاني: فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه، وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده، قاله مجاهد، ومقاتل، والزجاج، وهذا نسيان عمد، لا نسيان سهو، وعكسه القول الذي قبله. قوله تعالى: { قَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ } أي: غير ما كان قد لبث قبل ذلك. عقوبة له على تعلقه بمخلوق. وفي البضع تسعة أقوال.

أحدها: ما بين السبع والتسع، روى ابن عباس أن أبا بكر لما ناحب قريشا عند نزول { الم * عَلِيَّتِ الرُّومُ } [الروم: 12] قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع إلى التسع. والثاني: اثنتا عشرة سنة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: أنه ما بين الخمس إلى السبع، قاله الحسن. والخامس: أنه ما بين الأربع إلى التسع، قاله مجاهد. والسادس: ما بين الثلاث والتسع، والعشر، قاله قتادة. والثامن: أنه ما دون العشرة، قاله الفراء، وقال الأخفش: البضع: من واحد إلى عشرة. والتاسع: أنه ما لم يبلغ العقد ولا نصفه، قاله أبو عبيدة: قال ابن قتيبة: يعني ما بين الواحد إلى الأربعة. وروى الأثرم عن أبي عبيدة: البضع: ما بين ثلاث وخمس.

وفي جملة ما لبث في السجن ثلاثة أقوال.

أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عباس.

والثاني: أربع عشرة، قاله الضحاك.

والثالث: سبع سنين، قاله قتادة. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى

«اذكرني عند ربك» قيل له: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلًا؟ لأطيلن

حبسك، فبكى،

وقال: يارب، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي.

{ وَقَالَ لِمَلِكٍ إِنِّي سَبَّحْتُ بِحَمْدِ رَبِّي سَبْعَ سِنِينَ وَجِئْتُ بِعَجَافٍ وَسَبْعِ سَنَابِلٍ

خُضْرٍ وَأَخْرَجْتُ يَابِسَاتٍ يَابِسَاتٍ لِمَلِكٍ لَمَّا أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ }

قوله تعالى: { وَقَالَ لِمَلِكٍ } يعني ملك مصر الأكبر { إِنِّي سَبَّحْتُ } يعني في

المنام، ولم يقل: رأيت، وهذا جائز في اللغة أن يقول القائل: أرى، بمعنى

رأيت. قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في

حبسه، دخل عليه جبريل إلى السجن، فبشره بالخروج وملك مصر ولقاء أبيه،

فلما أمسى الملك من ليلته، رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر، في آثارهن سبع عجاف، فأقبلت العجاف على السمان، فأخذن بأذناهن فأكلنهن إلى القرنين، ولم يزد في العجاف شيء، ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن، ولم يزد في اليابسات شيء، فدعا أشراف قومه فقصها عليهم، فقالوا: {أَصْغَتْ أَحْلَامَ}. قال الزجاج: والعجاف التي قد بلغت في الهزال الغاية. والملا: الذين يرجع إليهم في الأمور ويقتدى برأيهم، واللام في قوله: {لِلرُّؤْيَا} دخلت على المفعول للتبيين، المعنى: إن كنتم تعبرون، ثم بين باللام فقال: «لِلرُّؤْيَا» ومعنى عبرت الرؤيا وعبرتها: أخبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها، واشتقاقه من عبر النهر، وهو شاطئ النهر، فتأويل عبرت النهر: بلغت إلى عبره، أي: إلى شطه وهو آخر عرضه.

وذكر ابن الأنباري في اللام قولين.

أحدهما: أنها للتوكيد.

والثاني: أنها أفادت معنى «إلى» والمعنى إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا. {قَالَ أَصْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمِينَ} قوله تعالى: {قَالُوا أَصْغَتْ أَحْلَامٌ} قال أبو عبيدة: واحدها صغث، مكسورة، وهي ما لا تأويل له من الرؤيا تراه جماعات، تجمع من الرؤيا كما يجمع الحشيش، فيقال: صغث، أي: ملء كف منه. وقال الكسائي: الأضغاث: الرؤيا المختلطة. وقال ابن قتيبة: «أضغاث أحلام» أي: أخلاط مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل، فيكون فيها ضروب مختلفة. وقال الزجاج: الصغث في اللغة: الحزمة والباقة من الشيء، كالبقل وما أشبهه، فقالوا له: رؤياك أخلاط أضغاث، أي: حزم أخلاط، ليست برؤيا بينه، {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمِينَ} أي: ليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل. وقال غيره: وما نحن بتأويل الأحلام الذي هذا وصفها بعالمين. والأحلام: جمع حلم، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح ومما يبطل.

{وَقَالَ لِيذَى نَجَا مِنْهُمَا وَ لَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَيْ أَبْتَكُمُ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ وَأَخْرَجَ يَبْسُتٍ لَعَلَّ أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ}

قوله تعالى: {وَقَالَ * لِيذَى نَجَا مِنْهُمَا} يعني اللذي تخلص من القتل من الفتيين، وهو الساقى، {وَلَكَّرَ} أي: تذكر شأن يوسف وما وصاه به. قال

الزجاج: وأصل اذكر: اذتكر، ولكن التاء ابدلت منها الدال، وأدغمت الذال في الدال. وقرأ الحسن: «واذكر» بالذال المشددة. وقوله: {بَعْدَ أُمَّةٍ} أي: بعد حين، وهو الزمان الذي لبثه يوسف بعده في السجن، وقد سبق بيانه. وقرأ ابن عباس، والحسن «بعد أمة» أراد بعد نسيان.

فإن قيل: هذا يدل على أن الناسي في قوله: «فأنساه الشيطان ذكر ربه» هو الساقى، ولا شك أن من قال: إن الناسي يوسف يقول: لم ينس الساقى. فالجواب: أن من قال: إن يوسف نسي، يقول: معنى قوله: «واذكر» ذكر، كما تقول العرب: احتلب بمعنى حلب، واغتدى بمعنى غدا، فلا يدل إذا على نسيان سبقه. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: إنما لم يذكر الساقى خبر يوسف للملك حتى احتاج الملك إلى تأويل رؤياه، خوفاً من أن يكون ذكره ليوسف سبباً لذكره الذنب الذي من أجله حبس، ذكر هذا الجواب ابن الأنباري. قوله تعالى: {أَنَا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} أي: من جهة يوسف {فَأَرْسَلُونِ} أثبت الياء فيها وفي {وَلَا تَقْرَبُونِ} [يوسف: 60] {أَنْ تُفْتَدُونِ} [يوسف: 94] يعقوب في الحالين، فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع، تعظيماً، وقيل: خاطبه وخاطب أتباعه. وفي الكلام اختصار، المعنى: فأرسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصديق. والصديق: الكثير الصدق، كما يقال: فسيق، وسكير، وقد سبق بيانه [النساء: 69]

قوله تعالى: {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ} يعني الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه.

وفي قوله: {لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} قولان.

أحدهما: يعلمون تأويل رؤيا الملك. والثاني: يعلمون بمكانك فيكون سبب خلاصك.

وذكر ابن الأنباري في تكرير «لعلّي» قولين. أحدهما: أن «لعل» الأولى متعلقة بالإفتاء. والثانية مبنية على الرجوع، وكلتاها بمعنى «كي» والثاني: أن الأولى بمعنى «عسى» والثانية بمعنى «كي» فأعيدت لاختلاف المعنيين، وهذا هو الجواب عن قوله: {لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُقْلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [يوسف: 63] قال المفسرون: كان سيده العزيز قد مات، واشتغلت عنه امرأته. وقال بعضهم: لم يكن العزيز قد مات، فقال يوسف للساقى: قل للملك: هذه سبع سنين مخصبات، ومن بعدهن سبع سنين شداد، إلا أن يحتال لهن، فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره، فقال له الملك: ارجع إليه فقل له: كيف يصنع؟ فقال: {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «دأبا»

ساكنه الهمزة، إلا أن أبا عمرو كان إذا أدرج القراءة لم يهمزها. وروى حفص عن عاصم «دأبا» بفتح الهمزة. قال أبو علي: الأكثر في «دأب» الإسكان، ولعل الفتح لغة، ومعنى «دأبا» أي: زراعة متوالية على عادتكم، والمعنى: تزرعون دائبين. فنبأ «دأب» عن «دائبين» وقال الزجاج: المعنى: تدأبون دأبا، ودل على تدأبون «تزرعون» والدأب: الملازمة للشيء والعادة. فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: «تزرعون» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة.

أحدها: أنه كان بوحى من الله عز وجل. والثاني: أنه بنى على علم ما علمه الله من التأويل الحق، فلم يشك. والثالث: أنه أضمر «إن شاء الله» كما أضمر إخوته في قولهم: { وَتَمِيزُ أَهْلَنَا وَتَحْفَظُ أَخَانًا } [يوسف: 65] فاضمروا الاستثناء في نياتهم، لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري.

والرابع: أنه كالأمر لهم، فكأنه قال: ازرعوا. قوله تعالى: { قَدَّرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ } فإنه أبقى له، وأبعد من الفساد. والشداد: المجدبات التي تشتد على الناس. { يَاكُلْنَ } أي: يذهبن ما قدمتم لهن في السنين المخصبات، فوصف السنين بالأكل، وإنما يؤكل فيها، كما يقال: ليل نائم.

قوله تعالى: { إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصُونَ } أي: تحرزون وتدخرون. { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ } قوله تعالى: { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ } إن قيل: لم أشار إلى السنين وهي مؤنثة ب «ذلك»

فعنه جوابان ذكرهما ابن القاسم.

أحدهما: أن السبع مؤنثة، ولا علامة للتأنيث في لفظها، فأشبهت المذكر، كقوله: { السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ } [المزمل: 18] فذكر منفطرا لما لم يكن في السماء علم التأنيث، قال الشاعر:
فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

فذكر «أبقل» لما وصفنا.

والثاني: أن «ذلك» إشارة إلى الجذب، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. قال قتادة: زاده الله علم عام لم يسألوه عنه. قوله تعالى: { فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ } فيه قولان:

أحدهما: يصيهم الغيث، قاله ابن عباس. والثاني: يغاثون بالخصب. ذكره
الماوردي.
قوله تعالى: { وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } قرأ ابن كثير، ونافع، وابو عمرو، وابن عامر،
وعاصم: «يعصرون» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي بالتاء، فوجها الخطاب إلى
المستفتين.
وفي قوله «يعصرون» خمسة أقوال.
أحدها: يعصرون العنب والزيت والثمرات، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه
قال قتادة، والجمهور.
والثاني: «يعصرون» بمعنى يحتلبون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
وروى ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال: تفسير «يعصرون» يحتلبون
الألبان لسعة خيرهم واتساع خصبهم، واحتج بقول الشاعر:
فما عصمة الأعراب إن لم يكن لهم طعام ولا در من المال يعصر
أي: يحلب.

والثالث: ينجون، وهو من العصر، والعصر: النجاء، والعصرة: المنجاة. ويقال:
فلان في عصرة: إذا كان في حصن لا يقدر عليه، قال الشاعر:
صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أي: غياثا للمغلوب المقهور، وقال عدي:
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

هذا قول أبي عبيده.
والرابع: يصيون ما يحبون،
روي عن أبي عبيدة أيضا أنه قال: المعتصر: الذي يصيب الشيء ويأخذه، ومنه
هذه الآية. ومنه قول ابن أحرر:
فإنما العيش بريانه وأنت من أفنانه معتصر

والخامس: يعطون ويفضلون لسعة عيشهم، رواه ابن الأنباري عن بعض أهل
اللغة. وقرأ سعيد بن جبير: «يعصرون» بضم الياء وفتح الصاد. وقال الزجاج:
أراد: يملطون من قوله: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً تَجَاجًا } [النبأ: 14]
{ وَقَالَ لِمَلِكٍ أُنْتُنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ رُجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاَسْأَلْهُ مَا بَالُ
النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ

يُوسُفَ عَن تَفْسِيهِ قُلَيْنَ حَاشَى لِّلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ مُرَاتٌ لُّعَزِيزِ
{ أَنَّ حَصْحَصَ لِحَقُّ أَبِي رَاوَدْتُهُ عَن تَفْسِيهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ }
قوله تعالى: { وَقَالَ لِمَلِكٍ ائْتُونِي بِهِ } قَالَ المفسرون: لما رجع الساقى إلى
الملك وأخبره بتأويل رؤياه، وقع في نفسه صحة ما قال، فقال: ائتوني بالذي
عبر رؤياي، فجاءه الرسول، فقال: أجب الملك، فأبى أن يخرج حتى تبين
براءته مما قرف به، فقال: { رُجِعْ إِلَى رَبِّكَ } يعني الملك { فَاسْأَلْهُ مَا بَالَ
النِّسْوَةِ } وقرأ ابن أبي عبله: «النسوة» بضم النون، والمعنى: فاسأل الملك
أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي، وإنما أشفق أن
يراه الملك بعين مشكوك في أمره أو متهم بفاحشة، وأحب أن يراه بعد
استقرار براءته عنده. وظاهر قوله: { إِنَّ رَبِّي شَيْءٌ عَلِيمٌ } أنه يعني الله
تعالى، وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز، والمعنى: أنه يعلم
براءتي. وقد روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه استحسَنَ حزم يوسف
وصبره عن التسرع إلى الخروج، فقال صلى الله عليه وسلم «إن الكريم بن
الكريم بن الكريم [ابن الكريم] يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لو
لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي لأجبت»
وفي ذكره للنسوة دون امرأة العزيز أربعة أقوال.

أحدها: أنه خلطها بالنسوة، لحسن عشرة فيه وأدب، قاله الزجاج.
والثاني: لأنها زوجة ملك، فصانها.

والثالث: لأن النسوة شاهدات عليها له.

والرابع: لأن في ذكره لها نوع تهمة، ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي.

قال المفسرون: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك
النسوة وفيهن امرأة العزيز، فقال: { مَا حَاطَبُكُنَّ } أي: ما شأنكن وقصتكن
{ إِذْ رَاوَدْتَنَّ يُوسُفَ }.

فإن قيل: إنما راودته واحدة، فلم جمعن؟ فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أنه جمعهن في السؤال ليعلم عين المراودة.

والثاني: أن أزيخا راودته على نفسه، وراوده باقي النسوة على القبول منها.

والثالث: أنه جمعهن في الخطاب، والمعنى لواحدة منهن، لأنه قد يوقع على

النوع وصف الحبس إذا أمن من اللبس، يدل عليه قول النبي صلى الله عليه

وسلم للنساء: «إنكن أكثر أهل النار»، فجمعهن في الخطاب والمعنى

لبعضهن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: { قُلْنَ حَاشَى لِّلَّهِ } قال الزجاج: قرأ الحسن بتسكين الشين، ولا

اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز، لأن الجمع بين ساكنين لا يجوز، ولا

هو من كلام العرب. فأعلم النسوة الملك براءة يوسف من سوء، فقالت امرأة العزيز: { قَالَ مَا خَطْبُكَ } أي: برزوتين، واشتقاقه في اللغة من الحصة، أي: بانة حصة الحق وجهته من حصة جهة الباطل. وقال ابن القاسم: «ححص» بمعنى وضح وانكشف، تقول العرب: ححص البعير في بروكة: إذا تمكن، وأثر في الأرض، وفرق الحصى. وللمفسرين في ابتداء أزليخا بالإقرار قولان. أحدهما: أنها لما رأت النسوة قد برأنه، قالت: لم يبق إلا أن يقبلن على بالتقرير، فأقرت، قاله الفراء.

والثاني: أنها أظهرت التوبة وحققت صديق يوسف، قاله الماوردي. { ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ } قوله تعالى: { ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ } قال مقاتل: «ذلك» بمعنى هذا. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع وأشباهه، لقرب الخبر من أصحابه، فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا، ولما كان مقتضيا، أمكن أن يشار إليه بذلك، لأن المقتضي كالغائب. واختلفوا في القائل لهذا علي ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوسف، وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئا ثم تصله بالحكاية عن آخر. ونظير هذا قوله: { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ } [الأعراف: 110] هذا قول الملاء { فَمَادَا تَأْمُرُونَ } قول فرعون. ومثله { وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أِذْلَةً } [النمل: 34] هذا قول بلقيس { وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } قول الله تعالى. ومثله { مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقِدِنَا } [بيس: 52] هذا قول الكفار، فقالت الملائكة: { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ } وإنما يجوز مثل هذا في الكلام، لظهور الدلالة على المعنى.

واختلفوا، أين قال يوسف هذا؟ على قولين. أحدهما: أنه لما رجع الساقى إلى يوسف فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك، قال: حينئذ «ذلك ليعلم» رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن جريج.

والثاني: أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك، رواه عطاء عن ابن عباس. قوله تعالى: { ذَلِكَ لِيَعْلَمَ } أي: ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك، ليعلم.

واختلفوا في المشار إليه بقوله: «ليعلم» وقوله: { لَمْ أَخُنْهُ } على أربعة أقوال.

أحدها: أنه العزيز، والمعنى: ليعلم العزيز أنني لم أخنه في امرأته {رِ لُغَيْبٍ} أي: إذا غاب عني، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور.

والثاني: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الملك، والمشار إليه بقوله: «لم أخنه» العزيز. والمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز في أهله بالغيب، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أن المشار إليه بالشيئين، الملك، فالمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخنه، يعني الملك أيضا، بالغيب.

وفي وجه خيانة الملك في ذلك قولان.

أحدهما: لكون العزيز وزيره، فالمعنى: لم أخنه في امرأة وزيره، قاله ابن الأنباري.

والثاني: لم أخنه في بنت أخته، وكانت أزيخا بنت أخت الملك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الله، فالمعنى: ليعلم الله أنني لم أخنه، روي عن مجاهد، قال ابن الأنباري: نسب العلم إلى الله في الظاهر، وهو في المعنى للمخلوقين، كقوله: {حَتَّى تَعْلَمَ لِمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ} [محمد: 31].

فإن قيل: إن كان يوسف قال هذا في مجلس الملك، فكيف قال: «ليعلم» ولم يقل: لتعلم، وهو يخاطبه؟

فالجواب: أنا إن قلنا: إنه كان حاضرا عند الملك، فإنما أثر الخطاب بالياء توقيرا للملك، كما يقول الرجل للوزير: إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي. وإن قلنا: إنه كان غائبا، فلا وجه لدخول التاء، وكذلك إن قلنا: إنه عني العزيز، والعزيز غائب عن مجلس الملك حينئذ.

والقول الثاني: أنه قول امرأة العزيز، فعلى هذا يتصل بما قبله، والمعنى: ليعلم يوسف أنني لم أخنه في غيبته الآن بالكذب عليه.

والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته علي أمانته، حكى القولين الماوردي.

قوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} قال ابن عباس: لا يصبو عمل الزناة، وقال غيره: لا يرشد من خان أمانته ويفضحه في عاقبته.

{وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِأَسْوَأِ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} * وَقَالَ لِمَلِكٍ أُنْتُونِي بِهِ أَتَخَلِّصُهِ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ لَيَوْمَ لَدَيْتَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ جُعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ

مَكَّنَا لِيُوسِفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {

قوله تعالى: { وَمَا أْبْرَىء } في القائل لهذا ثلاثة أقوال، وهي التي تقدمت في الآية قبلها.

فالذين قالوا: هو يوسف، اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسة أقوال. أحدها: أنه لما قال: «ليعلم أني لم أخنه بالغيب» غمزه جبريل، فقال: ولا حين هممت؟ فقال: «وما أبرىء نفسي»، رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال الأكثرون.

والثاني: أن يوسف لما قال: «لم أخنه»، ذكر أنه قد هم بها فقال: «وما أبرىء نفسي» رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أنه لما قال ذلك، خاف أن يكون قد زكى نفسه، فقال: «وما أبرىء نفسي» قاله الحسن.

والرابع: أنه لما قاله، قال له الملك الذي معه: اذكر ما هممت به، فقال: «وما أبرىء نفسي» قاله قتادة.

والخامس: أنه لما قاله، قالت امرأة العزيز: ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال: «وما أبرىء نفسي» قاله السدي.

والذين قالوا: هذا قول امرأة العزيز، فالمعنى: وما أبرىء نفسي أني كنت راودته.

والذين قالوا: هو العزيز، فالمعنى: وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف، لأنه قد خطر لي.

قوله تعالى: {لَا مَّارَةَ بِالسُّوءِ} قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ويعقوب إلا رويساً: «بالسوء إلا» بتحقيق الهمزتين. وقرأ أبو عمرو، وابن ثنبوذ عن قبل بتحقيق الثانية وحذف الأولى، وروى نضيف عن قبل بتحقيق الأولى وقلب الثانية ياء. وقرأ أبو جعفر، وورش، ورويس بتحقيق الأولى وتليين الثانية بين، مثل: «السوء علا» وروى ابن فليح بتحقيق الثانية وقلب الأولى واوا، وأدغمها في الواو التي قبلها، فتصير واوا مكسورة مشددة قبل همزة «إلا» قوله تعالى: {إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي} قال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد.

قال أبو صالح عن ابن عباس: المعنى: إلا من عصم ربي. وقيل: «ما» بمعنى «من» قال الماوردي: ومن قال: هو قول امرأة العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي في قهره لشهوته، أو في نزعها عنه. ومن قال: هو قول العزيز، فالمعنى:

إلا من رجم ربي بأن يكفيه سوء الظن، أو يثبته، فلا يعجل. قال ابن الأنباري:
والقول بأن هذا قول يوسف، أصح، لوجين.
أحدهما: لأن العلماء عليه. والثاني: لأن المرأة كانت عابدة وثن، وما تضمنته
الآية، أليق أن يكون قول يوسف من قول من لا يعرف الله عز وجل. وقال
المفسرون: فلما تبين الملك عذر يوسف وعلم أمانته، قال: { ائْتُونِي بِهِ
أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي } أي: أجعله خالصا لي، لا يشركني فيه أحد.
فإن قيل: فقد رويتم في بعض ما مضى أن يوسف قال في مجلس الملك:
«ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب» فكيف قال الملك: «ائتوني به» وهو حاضر
عنده؟

فالجواب: أن أرباب هذا القول يقولون: أمر الملك باحضاره ليقلده الأعمال
في غير المجلس الذي استحضره فيه لتعبير الرؤيا. قال وهب: لما دخل
يوسف على الملك، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا، كان كلما كلمة بلسان،
أجابه يوسف بذلك اللسان، فعجب الملك، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة،
فقال: إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاهها، فذكرها له، قال: فما ترى أيها
الصديق؟ قال: أرى أن تزرع زرضا كثيرا في هذه السنين المخصبة، وتجمع
الطعام، فيأتيك الناس فيمتارون، وتجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد،
فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال يوسف: «اجعلني على خزائن الأرض» قال
ابن عباس: ويريد بقوله: { مَكِينٌ أَمِينٌ } أي: قد مكنتك في ملكي وائتمنتك
فيه. وقال مقاتل: المكين: الوجيه، والأمين: الحافظ.
قوله تعالى: { جُعِلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ } أي: خزائن أرضك.
وفي المراد بالخزائن قولان.

أحدهما: خزائن الأموال، قاله الضحاك، والزجاج.
والثاني: خزائن الطعام فحسب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: وإنما سأل
ذلك، لأن الأنبياء، بعثوا بالعدل، فعلم أنه لا أحد أقوم بذلك منه.
وفي قوله: { إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } ثلاثة أقوال.
أحدها: حفيظ لما وليتني، عليم بالمجاعة متى تكون، قاله أبو صالح عن ابن
عباس.

والثاني: حفيظ لما استودعتني، عليم بهذه السنين، قاله الحسن.
والثالث: حفيظ للحساب، عليم بالألسن، قاله السدي، وذلك أن الناس كانوا
يردون على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة.
واختلفوا، هل ولاه الملك يومئذ، أم لا؟ على ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه ولاه بعد سنة، روى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: أجعلني علي خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة». وذكر مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم «قال لو أن يوسف قال إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك من وقته» قال مجاهد: أسلم الملك على يد يوسف. وقال أهل السير: أقام في بيت الملك سنة، فلما انصرفت، دعاه الملك، فتوجه، ورداه بسيفه، وأمر له بسرير من ذهب، وضرب عليه كلة من إستبرق، فجلس على السرير كالقمر، ودانت له الملوك، ولزم الملك بيته، وفوض أمره إليه، وعزل قطفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي، فزوج الملك يوسف بامرأة قطفير، فلما دخل عليها، قال: أليس هذا خيرا مما تريدان؟ فقالت: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسناء في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، فغلبتني نفسي، فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فولدت له ابنين، إفرائيم وميشا، واستوسق له ملك مصر. والقول الثاني: أنه ملكه بعد سنة ونصف، حكاه مقاتل عن ابن عباس. والثالث: أنه سلم إليه الأمر من وقته، قاله وهب، وابن السائب. فإن قيل: كيف قال يوسف: «إني حفيظ عليم» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخر تملكه، على ما ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أنه أضمر الاستثناء، كما أضمره في قولهم: { وَتَمِيزُ أَهْلَهَا }. والثالث: أنه أراد أن حفطي وعلمي يزيدان علي حفظ غيري وعلمه، فلم يحتج هذا إلى الاستثناء، لعدم الشك فيه، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. فإن قيل: كيف مدح نفسه بهذا القول، ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع. فالجواب: أنه لما خلا مدحه لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحبه وجور يبطله، كان ذلك جميلا جائزا، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: أنا أكرم ولد آدم علي ربه وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار. وقال ابن مسعود: لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته. فهذه الأشياء، خرجت مخرج الشكر لله، وتعريف المستفيد ما عند المفيد، ذكر هذا محمد بن القاسم. قال القاضي أبو يعلى: في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحذور في قوله: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } [النجم: 32]

قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ } في الكلام محذوف، تقديره: اجعلني على، خزائن الأرض، قال: قد فعلت، فحذف ذلك، لأن قوله: «وكذلك مكنا ليوسف» يدل عليه والمعنى: ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في دفع المكروه عنه، وتخليصه من السجن، وتقريبه من قلب الملك، أقدرناه على ما يريد في أرض مصر { يَتَّبِعُونَ } قال ابن عباس: ينزل حيث أراد. وقرأ ابن كثير، والمفضل: «حيث نشاء» بالنون.

قوله تعالى: { تُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا } أي: نختص بنعمتنا من النبوة والنجاة { مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يعني المؤمنين. يقال: إن يوسف باع أهل مصر الطعام بأموالهم، وحليهم، ومواشيهم، وعقارهم، وعبيدهم، ثم بأولادهم، ثم برقابهم، ثم قال للملك: كيف ترى صنع ربي؟ فقال الملك: إنما نحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني قد أعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم. وكان يوسف لا يشبع في تلك الأيام، ويقول: إني أخاف أن أنسى الجائع.

{ وَلَا جُزْءَ مِنَ الْآخِرَةِ حَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }

قوله تعالى: { وَلَا جُزْءَ مِنَ الْآخِرَةِ حَيْرٌ } المعنى: ما نعطي يوسف في الآخرة، خير مما أعطيناه في الدنيا، وكذلك غيره من المؤمنين ممن سلك طريقه في الصبر.

{ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ }

قوله تعالى: { وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ } روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما فوض الملك إلى يوسف أمر مصر، تلىف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام، فأمنوا به وأحبوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوب ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته، فقال يعقوب: يا بني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكا صالحا، فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم، فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه، قال: من أين أقبلتم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه وقال: لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي، فقالوا: لا والله، ولكننا من كنعان، أصابنا الجهد، فأمرنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر آخا، وكنا اثني عشر فأكل أحدنا الذئب، قال: فمن يعلم صدقكم؟ اتنوني بأخيكم الذي من أبيكم. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية، فأمر الترجمان فكلمهم ليشبه عليهم، فقال الترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بعثكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا

بالجنود، فقالوا: لا، ولكننا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد في الغنم، وقد خلفنا عند أبينا أخا له من أمه، فقال: إن كنتم صادقين، فخلفوا عندي بعضكم رهنا، واثتوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون. واختلفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين. أحدهما: أنه عرفهم برؤيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما عرفهم حتى تعرفوا إليه، قاله الحسن. قوله تعالى: { وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } قال مقاتل: لا يعرفونه. وفي علة كونهم لم يعرفوه قولان. أحدهما: أنهم جاؤوه مقدرين أنه ملك كافر، فلم يتأملوا منه ما يزول به عنهم الشك.

والثاني: أنهم عاينوا من زيه وحليته ما كان سببا لإنكارهم. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان لا بسا ثياب حرير، وفي عنقه طوق من ذهب. فإن قيل: كيف يخفى من قد أعطي نصف الحسن، وكيف يشتهه بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقوه طفلا ورأوه كبيرا، والأحوال تتغير، وما توهموا أنه ينال هذه المرتبة. وقال ابن قتيبة: معنى كونه أعطي نصف الحسن، أن الله جعل للحسن غاية وحدا، وجعله لمن شاء من خلقه، إما للملائكة، أو للهور، فجعل ليوسف نصف ذلك الحسن، فكأنه كان حسنا مقاربا لتلك الوجوه الحسنة، وليس كما يزعم الناس من أنه أعطي هذا الحسن، وأعطي الناس كلهم نصف الحسن.

{ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ أَلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَىٰ لِكَيْلٍ وَأَنَا خَيْرٌ لِّمُنْزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ } قوله تعالى: { وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ } يقال: جهزت القوم تجهيزا: إذا هيأت لهم ما يصلحهم، وجهاز البيت: متاعه. قال المفسرون: حمل لكل رجل منهم بغيرا، وقال: { أَلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَىٰ لِكَيْلٍ } أي: أتمه ولا أبخسه، { وَأَنَا خَيْرٌ لِّمُنْزِلِينَ } يعني: المضيفين، وذلك أنه أحسن ضيافتهم. ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم، فقال: { فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي } وفيه قولان. أحدهما: أنه يعني به: فيما بعد، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنه منعهم الكيل في الحال، قاله وهب بن منبه. { قَالُوا سَتَرُوْا عَنْهُ آبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ } قوله تعالى: { قَالُوا سَتَرُوْا عَنْهُ آبَاهُ } أي: نطلبه منه، والمرادوة: الاجتهاد في الطلب.

وفي قوله: { وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ } ثلاثة أقوال.

أحدها: أن المعنى: وأنا لجاؤوك به. وضامنون لك المجيء به، هذا مذهب الكلبى.
والثاني: أنه توكيد، قاله الزجاج، فعلى هذا، يكون الفعل الذي ضمنوه عائداً إلى المرادة، فيصح معنى التوكيد.
والثالث: وإنما لمديمون المطالبة به لأيننا، ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه، وهذا غير المرادة، ذكره ابن الأنباري.
فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يطلب أخاه، وهو يعلم مافي ذلك من إدخال الحزن على أبيه؟ فعنه خمسة أجوبة.
أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك بأمر عن الله تعالى زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، وهذا الأظهر.

والثاني: أنه طلبه لا ليحبسه، فلما عرفه قال: لا أفارقك يا يوسف، قال: لا يمكنني حبسك إلا أن أنسبك إلى أمر فطيع، قال: أفعل ما بدا لك، قاله كعب.
والثالث: أن يكون قصد تنبيه يعقوب بذلك على حال يوسف.
والرابع: ليتضاعف سرور يعقوب برجوع ولديه.

والخامس: ليعجل سرور أخيه باجتماعه به قبل إخوته. وكل هذه الأجوبة مدخوله، إلا الأول، فإنه الصحيح. ويدل عليه ما روينا عن وهب بن منبه، قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب، قال له يعقوب: بيني وبينك هذه المسافة القريبة، ولم تكتب إلي تعرفني؟ فقال: إن جبريل أمرني أن لا أعرفك، فقال له: سل جبريل، فسأله، فقال: إن الله أمرني بذلك، فقال: سل ربك، فسأله، فقال: قل ليعقوب: خفت عليه الذئب، ولم تؤمني؟

{ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ جَعَلُوا بِصَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

قوله تعالى: { وَقَالَ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «لفتيته» وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «لفتيانه» قال أبو علي: الفتية جمع فتى في العدد القليل، والفتيان في الكثير. والمعنى: قال لغلماناه: { لِفَتْيَانِهِ جَعَلُوا بِصَعَتَهُمْ } وهي التي اشتروا بها الطعام { فِي رِحَالِهِمْ }، والرحل: كل شيء يعد للرحيل. { لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا } أي: ليعرفوها { إِذَا انْقَلَبُوا } أي: رجعوا { إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } أي: لكي يرجعوا.

وفي مقصوده بذلك خمسة أقوال.

أحدها: أنه تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في رحالهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها، قاله الضحاك.

والثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه، فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرما وتفضلا، ذكره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

والرابع: ليعلموا أن طلبه لعودهم لم يكن طمعا في أموالهم، ذكره الماوردي.

والخامس: أنه أراهم كرمه وبره ليكون ادعي إلى عودهم.
{ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَاتَنَا نَكَتْلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ }

قوله تعالى: { فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ } قال المفسرون: لما عادوا إلى يعقوب، قالوا: يا أبانا، قدمنا على خير رجل، أنزلنا، وأكرمنا كرامة، لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته.

وفي قوله: { مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ } قولان قد تقدم في قوله: { فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي } { [يوسف 61].

فإن قلنا: إنه لم يكل لهم، فلفظ «منع» بين.

وإن قلنا: إنه خوفهم منع الكيل، ففي المعنى قولان.

أحدهما: حكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت والله النار بما فعلت.

والثاني: أن المعنى: يا أبانا يمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب «منع» عن

«يمنع» كقوله: { يَخْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ } [الهمزة 3] أي: يخلده، وقوله:

{ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ { [الأعراف 50]، { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ عِيسَىٰ }

[المائدة 116] أي: وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: { فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَاتَنَا نَكَتْلُ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو،

وعاصم، وابن عامر: «نكتل» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكتل» بالياء.

والمعنى: إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد منعنا الكيل قوله تعالى: { هَلْ أَمْنُكُمْ

عَلَيْهِ } أي: لا أمنكم إلا كأمني على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ

خانوه. { فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو

بكر عن عاصم: «حفظا» والمعنى: خير حفظا من حفظكم. . وقرأ حمزة

والكسائي، وحفص عن عاصم: «خير حافظا» بآلف. قال أبو علي: ونصبه

على التمييز دون الحال.

{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِصُعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَا مَا تَبْغِي هَذِهِ
بِصُعَتِنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَتَمِيرُ أَهْلَنَا وَتَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ *
قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتِنِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ
فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوا مِن
بَابٍ وَاحِدٍ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ فِي الْبَابِ مِّنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
لِحُكْمِ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ
أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي تَفْسٍ يَعْقُوبَ
قَصَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَّمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {
قوله تعالى: {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ} يعني أوعية الطعام {وَجَدُوا بِصُعَتِهِمْ}
التي حملوها ثمنًا للطعام {رُدَّتْ} قال الزجاج: الأصل «ردت»؛ فأدغمت
الدال الأولى في الثانية، وبقيت الراء مضمومة. ومن قرأ بكسر الراء جعل
كسرتها منقولة من الدال. كما فعل ذلك في: قيل، وبيع، ليدل على أن أصل
الدال الكسر.

قوله تعالى: {مَا تَبْغِي} في «ما» قولان.

أحدهما: أنها استفهام، المعنى: أي شيء تبغي وقد ردت بضاعتنا إلينا.
والثاني: أنها نافية، المعنى: ما تبغي شيئاً، أي: لسنا نطلب منك دراهم نرجع
بها إليه، بل تكفيننا هذه في الرجوع إليه، وأرادوا بذلك تطيب قلبه ليأذن لهم
بالعود. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والجحدري، وأبو حيوة «ما تبغي» بالياء،
على الخطاب ليعقوب.

قوله تعالى: {وَتَمِيرُ أَهْلَنَا} أي: نجلب لهم الطعام. قال ابن قتيبة: يقال: مار
أهله يميروهم ميروا، وهو مائر لأهله: إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده.
قوله تعالى: {وَتَحْفَظُ أَخَانًا} فيه قولان.

أحدهما: نحفظ أخانا بنيامين الذي ترسله معنا، قاله الأكثرون.

والثاني: ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده، قاله الضحاك عن ابن
عباس.

قوله تعالى: {وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ} أي: وقر بعير، يعنون بذلك نصيب أخيه، لأن
يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من حمل بعير.
قوله تعالى: {ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ} فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: ذلك كيل سريع، لا حبس فيه، يعنون: إذا جاء معنا، عجل الملك لنا
الكيل، قاله مقاتل.

والثاني: ذلك كيل سهل على الذي نمضي إليه، قاله الزجاج.

والثالث: ذلك الذي جئناك به كيل يسير لا يقنعنا، قاله الماوردي.

قوله تعالى: { حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ } أي: تعطوني عهدا أثق به. والمعنى: حتى تحلفوا لي بالله { لَتَأْتِنِي بِهِ } أي: لتردنه إلي. قال ابن الأنباري: وهذه الإلام جواب لمضمر، تلخيصه: وتقولوا: والله لتأتيني به. قوله تعالى: { إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ } فيه قولان. أحدهما: أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد.

والثاني: أن يحال بينكم وبينه فلا تقدرّون على الإتيان به، قاله الزجاج. قوله تعالى: { فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ } أي: أعطوه العهد وفيه قولان. أحدهما: أنهم حلفوا له بحق محمد صلى الله عليه وسلم ومنزلته من ربه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم حلفوا بالله تعالى، قاله السدي. قوله تعالى: { قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ } فيه قولان. أحدهما: أنه الشهيد. والثاني: كفيل بالوفاء، روي عن ابن عباس. قوله تعالى: { لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ } قال المفسرون: لما تجهزوا للرحيل، قال لهم يعقوب: «لا تدخلوا» يعني مصر «من باب واحد».

وفي المراد بهذا الباب قولان. أحدهما: أنه أراد بابا من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس.

وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال. أحدها: أنه خاف عليهم العين، وكانوا أولي جمال وقوة، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة، قاله وهب بن منبه.

والثالث: أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة، قاله إبراهيم النخعي. قوله تعالى: { وَمَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ } أي: لن أدفع عنكم شيئا قضاه الله، فإنه إن شاء أهلككم متفرقين، ومصداقة في الآية التي بعدها { مَا كَانَ يُعْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا } وهي إرادته أن يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم.

قال الزجاج: «إلا حاجة» استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن حاجة في نفس يعقوب قضاه. قال ابن عباس: «قضاه» أي: أبداه وتكلم بها. قوله تعالى: { وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ } فيه سبعة أقوال. أحدها: إنه حافظ لما علمناه، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وإنه لذو علم أن دخلوهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس.
والثالث: وإنه لعامل بما علم، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: سمي العمل علماً، لأنه العلم أول أسباب العمل.
والرابع: وإنه لمتيقن لوعدنا، قاله الضحاك.
والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا، قاله ابن السائب.
والسادس: وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضاه الله، قاله مقاتل.

والسابع: وإنه لذو علم لتعليمنا إياه، قاله الفراء.
{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ لَوِ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: {وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ} يعني إخوته {إِوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ} يعني بنيامين. وكان أخاه لأبيه وأمه، قاله قتادة، وضمه إليه وأنزله معه، قال ابن قتيبة: يقال أويت فلانا إلي. بمد الألف: إذا ضمته إليك، وأويت إلى بني فلان، بقصر الألف: إذا لجأت إليهم.
وفي قوله: {قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} قولان.

أحدهما: أنهم لما دخلوا عليه حبسهم بالبواب، وأدخل أخاه، فقال له: ما اسمك؟ فقال: بنيامين، قال: فما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوي، فوثب إليه فاعتنقه، فقال: «إني أنا أخوك»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وكذلك قال ابن إسحاق: أخبره أنه يوسف.

والثاني: أنه لم يعترف له بذلك، وإنما قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب بن منبه. وقيل: إنه أجلسهم كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً يبكي، وقال: لو كان أخي حياً لأجلسني معه، فضمه يوسف إليه، وقال: إني أرى هذا وحيداً، فأجلسه معه على مائدته. فلما جاء الليل، نام كل اثنين على منام، فبقي وحيداً، فقال يوسف: هذا ينام معي. فلما خلا به. قال هل لك أخ من أمك؟ قال كان لي أخ من أمي فهلك، فقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال: أيها الملك، ومن يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه فاعتنقه، وقال: {إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} يوسف {فَلَا تَبْتَئِسْ} قال قتادة: لا تأس ولا تحزن، وقال الزجاج: لا تحزن ولا تستكن. قال ابن الأنباري: «تبتئس»: تفتعل من البؤس، وهو الضر والشدة، أي: لا يلحقك بؤس بالذي فعلوا.

قوله تعالى: {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فيه ثلاثة اقوال.

أحدها: أنهم كانوا يعيرون يوسف وأخاه بعبادة جدهما أبي أمهما للأصنام، فقال: لا تبتئس بما كانوا يعملون من التعيير لنا. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لا تحزن بما سيعملون بعد هذا الوقت حين يسرقونك، فتكون «كانوا» بمعنى «يكونون» قال الشاعر:

فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع لمن كان بعدي من القصائد مصنعا

وقال آخر:

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دم وذباح

أرادك:

فقد كان، وهذا مذهب مقاتل.

والثالث: لا تحزن بما عملوا من حسدنا، وحرصوا على صرف وجه أبينا عنا،

وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق.

{ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتْهَا لُغَيْرُ
إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ لَمَلِكٍ
وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ }

قوله تعالى: { فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ } قال المفسرون: أوفى لهم الكيل،

وحمل ل «بنيامين» بعيرا باسمه كما حمل لهم، وجعل السقاية في رجل أخيه،

وهي الصواع، فهما اسمان واقعان على شيء واحد، كالبر والحنطة، والمائدة

والخوان. وقال بعضهم: الاسم الحقيقي: الصواع، والسقاية وصف، كما يقال:

كوز، وإناء، فالاسم الخاص: الكوز. قال المفسرون: جعل يوسف ذلك الصاع

مكيالا لئلا يكال بغيره. وقيل: كال لإخوته بذلك، إكراما لهم. قالوا: ولما ارتحل

إخوة يوسف وأمعنوا، أرسل الطلب في أثرهم، فأدرکوا وحبسوا، { ثُمَّ أَذِنَ

مُؤَدِّنُ } قال الزجاج: أعلم معلم، يقال: أذنته بالشيء، فهو مؤذن به، أي:

أعلمته، وأذنت: أكثرت الإعلام بالشيء، يعني: أنه إعلام بعد إعلام. { أَيَّتْهَا

لُغَيْرُ } يريد: أهل العير، فأنت لأنه جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا

لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن

قتيبة: العير: القوم على الإبل.

فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يسرق من لم يسرق؟ فعنه أربعة أجوبة.

أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه

في الجب، قاله الزجاج.

والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله، قاله ابن جرير.
والثالث: أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف.
والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: {دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ لِعَزِيزٌ لِكَرِيمٍ} [الدخان 49] أي: عند نفسك، لا عندنا، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات» أي: قال قولا يشبه الكذب، وليس به.

قوله تعالى: {قَالُوا} يعني: إخوة يوسف {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ} فيه قولان. أحدهما: على المؤذن وأصحابه.

والثاني: أقبل المنادي ومن معه على إخوة يوسف بالدعوى. {مَاذَا تَفْقِدُونَ} ما الذي ضل عنكم؟

{قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ لِمَلِكٍ} قال الزجاج: الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصاع يذكر ويؤنث. وقد قرىء: «صياح» بياء، وقرىء: «صوغ» بغير معجمة، وقرىء: «صوع» بغير غير معجمة مع فتح الصاد، وضمها، وقرأ أبو هريرة: «صاع الملك» وكل هذه لغات ترجع إلى معنى واحد، إلا أن الصوغ، بالغير المعجمة، مصدر صغت، وصف الإناء به، لأنه كان مصوغا من ذهب.

واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال.

أحدها: أنه كان قدحا من زبرجد.

والثاني: أنه كان من نحاس، روي عن ابن عباس.

والثالث: أنه كان شربة من فضة مرصعة بالجواهر. قاله عكرمة.

والرابع: كان كأسا من ذهب، قاله ابن زيد.

والخامس: كان من مس حكاه الزجاج.

وفي صفته قولان.

أحدهما: أنه كان مستطيلا يشبه المكوك. والثاني: أنه كان يشبه الطاس.

قوله تعالى: {وَلَمَن جَاءَ بِهِ} يعني الصواع {جَمَلٌ بَعِيرٌ} من الطعام {وَأَنَا بِهِ

رَعِيمٌ} أي: كفيل لمن رده بالحمل، يقوله المؤذن.

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} * قَالُوا فَمَا

جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ

تَجْزَى الظَّالِمِينَ}

قوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ} قال الزجاج: «تالله» بمعنى: والله، إلا أن التاء لا يقسم بها إلى في الله عز وجل. ولا يجوز: تالرحمن لأفعلن، ولا: تربي لأفعلن.

والتاء تبدل من الواو، كما قالوا في وراث: تراث، وقالوا: يتزن، وأصله: يوتزن، من الوزن. قال ابن الأنباري: أبدلت التاء من الواو، كما أبدلت في التخمة والترات والتجاه، وأصلهن من الوخمة والوجاه، لأنهن من الوخامة والوراثه والوجه. ولا تقول العرب: تالرحمن، كما قالوا: تالله، لأن الاستعمال في الإقسام كثر بالله، ولم يكن بالرحمن، فجاءت التاء بدلا من الواو في الموضع الذي يكثر استعماله.

قوله تعالى: {لَقَدْ عَلِمْتُمْ} يعنون يوسف {مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ} أي: لنظلم أحدا أو نسرق.

فإن قيل: كيف حلفوا على علم قوم لا يعرفونهم؟
فالجواب من ثلاثة أوجه.

أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم رددوا الدراهم ولا يستحلونها، فالمعنى: لقد علمتم أننا رددنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كعموا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئا، وكان غيرهم لا يفعل ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحدا.

قوله تعالى: {فَمَا جَزَاؤُهُ} المعنى: قال المنادي وأصحابه: فما جزاؤه. قال الأخفش: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرقة. قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ} أي: في قولكم، {وَمَا كُنَّا سُرِقِينَ} {قَالُوا}: يعني إخوة يوسف {جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ} أي: يستعبد بذلك قال ابن عباس: وهذه كانت سنة آل يعقوب.

{قَبْدًا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ يَلْبِغُهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن تَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}

قوله تعالى: {قَبْدًا بِأَوْعِيَّتِهِمْ} قال المفسرون: انصرف بهم المؤذن إلى يوسف، وقال: لا بد من تفتيش أمتعتكم، {قَبْدًا} يوسف {بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ} لإزالة التهمة، فلما وصل إلى وعاء أخيه، قال: ما أظن هذا أخذ شيئا، فقالوا: والله لا نبرح حتى ننظر في رحله، فهو أطيب لنفسك. فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع، فذلك قوله: {ثُمَّ سَلَبْنَاهَا}. وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى السرقة، قاله الفراء.
والثاني: إلى السقاية، قاله الزجاج.

والثالث: إلى الصواع على لغة من أنثه، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: فأقبلوا على بنيامين، وقالوا: أي شيء صنعت؟ فضحتنا وأزريت بأبيك الصديق، فقال: وضع هذا في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم، وقد كان يوسف أخبر أخاه بما يريد أن يصنع به.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} فيه أربعة أقوال. أحدها: كذلك صنعنا له، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: احتلنا له، والكيد: الحيلة، قاله ابن قتيبة. والثالث: أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم.

والرابع: دبرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه. قال ابن الأنباري: لما دبر الله ليوسف ما دبر من ارتفاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما ظن إخوته، شبه بالكيد من المخلوقين، لأنهم يسترون ما يكيدون به عن يكيدونه.

قوله تعالى: {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} في المراد بالدين هاهنا قولان.

أحدهما: أنه السلطان، فالمعنى: في سلطان الملك، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه القضاء، فالمعنى: في قضاء الملك لأن قضاء الملك، أن من سرق إنما يضرب ويغرم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وبيانه أنه لو أجرى أخاه على حكم الملك ما أمكنه حبسه، لأن حكم الملك الغرم والضرب فحسب. فأجرى الله على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فكان ذلك مما كاد الله ليوسف لطفا حتى أظفروه بمراده يمشيئة الله، فذلك معنى قوله: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} وقيل: إلا أن يشاء الله إظهار علة يستحق بها أخاه.

قوله تعالى: {تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ} وقرأ يعقوب «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما. وقرأ أهل الكوفة «درجات» بالتنوين، والمعنى: نرفع الدرجات بصنوف العطاء، وأنواع الكرامات، وأبواب العلوم، وقهر الهوى، والتوفيق للهدى، كما رفعنا يوسف. {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} أي: فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره.

وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال.

أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من إخوته، وفوقه من هو أعلم منه. والثاني: أنه نبه على تعظيم العلم، وبين أنه أكثر من أن يحاط به.

والثالث: أنه تعليم للعالم التواضع لئلا يعجب.
{ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ آيَةً شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ }

قوله تعالى: { قَالُوا } يعني: إخوة يوسف { إِنْ يَسْرِقْ } يعنون بنيامين { فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ } يعنون يوسف. قال المفسرون: عوقب يوسف ثلاث مرات، قال للساقى: «اذكرني عند ربك» فلبث في السجن بضع سنين، وقال للعزير: «ليعلم أني لم أخنه بالغيب»، فقال له جبريل: ولا حين هممت؟ فقال: «وما أبرئ نفسي»، وقال لإخوته: «إنكم لسارقون»، فقالوا: «إن يسرق» فقد سرق أخ له من قبل.

وفي ما عنوا بهذه السرقة سبعة اقوال.

أحدها: أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في سني المجاعة، فيطعمه للمساكين، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنه سرق مكحلة لخالته، رواه أبو مالك عن ابن عباس.

والثالث: أنه سرق صنما لجدته أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، فعيره إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير، ووهب بن منبه، وقتادة.

والرابع: أن عمه يوسف - وكانت أكبر ولد إسحاق - كانت تحضن يوسف وتحبه حبا شديدا، فلما ترعرع، طلبه يعقوب، فقالت: ما أقدر أن يغيب عني، فقال: والله ما أنا بتاركه، فعمدت إلى منطقة إسحاق، فربطتها على يوسف تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها، فوجدوها مع يوسف، فأخبرت يعقوب ذلك، وقالت: والله إنه لي أصنع فيه ما شئت، فقال: أنت وذاك، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فذاك الذي عيره به إخوته، رواه ابن أبي نجیح عن مجاهد.

والخامس: أنه جاءه سائل يوما، فسرق شيئا، فأعطاه السائل، فعيروه بذلك. وفي ذلك الشيء ثلاثة اقوال: أحدهما: أنه كان بيضه، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاة، قاله كعب. والثالث: دجاجة، قاله سفيان بن عيينة.

والسادس: أن بني يعقوب كانوا على طعام، فنظر يوسف إلى عرق، فخبأه، فعيروه بذلك، قاله عطية العوفي، وإدريس الأودي. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعيره إخوته بذلك عند الغضب.

والسابع: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبة: «فقد سرق» بضم السين وكسر الراء وتشديدها. قوله تعالى: { فَاسْتَرَّهَا يُوْسُفُ فِي نَفْسِهِ } في هاء الكناية ثلاثة أقوال. أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذكرت بعد هذا، وهي قوله: { أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا }، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: «فقد سرق أخ له من قبل»، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا يكون المعنى: أسر جواب الكلمة فلم يجبهم عليها.

والثالث: أنها ترجع إلى الحجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري. قوله تعالى: { أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا } فيه قولان.

أحدهما: شر صنيعا من يوسف لما قدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم، قاله ابن عباس.

والثاني: شر منزلة عند الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ } فيه قولان.

أحدهما: تقولون، قاله مجاهد. والثاني: بما تكذبون، قاله قتادة. قال الزجاج:

المعنى: والله أعلم أسرق أخ له، أم لا. وذكر بعض المفسرين أنه لما استخرج

الصواع من رحل أخيه، نقر الصواع، ثم أدناه من أذنه، فقال: إن صواعي هذا

يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلا، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فقال

بنيامين: أيها الملك، سل صواعك عن أخي، أحي هو؟ فنقره ثم، قال: هو حي

وسوف تراه، فقال: سل صواعك، من جعله في رحلي؟ فنقره، وقال: إن

صواعي هذا غضبان، وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من

كنت؟ فغضب روبيل، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، فإذا مس أحدهم

الآخر ذهب غضبه، فقال: والله أيها الملك لتتركنا، أو لأصيحن صيحة لا يبقى

بمصر امرأة حامل إلا ألفت ما في بطنها، فقال يوسف لابنه: قم إلى جنب

روبييل فامسسه، ففعل الغلام، فذهب غضبه، فقال روبيل: ما هذا؟ إن في هذا

البلد من ذرية يعقوب؟ قال يوسف: ومن يعقوب؟ فقال: أيها الملك، لا تذكر

يعقوب، فإنه إسرائيل إله بن ذبيح الله بن خليل. الله فلما لم يجدوا إلي

خلاص أخيهم سبيلا، سألوه أن يأخذ منهم بدिला به، فذلك قوله: { يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ

إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا } أي: في سنة، وقيل: في قدره، { فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ }

أي: تستعبده بدلا عنه { إِنَّا تَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } فيه قولان.

أحدهما: فيما مضى. والثاني: إن فعلت. { قَالَ مَعَادَ اللَّهِ } قد سبق تفسيره [يوسف 33]، والمعنى: أعود بالله أن نأخذ بريئا بسقيم. { قَلَمَّا سُبِّتَاسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّرْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِالِّيَوْمِ أَوْ يُحْكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * إِرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ بُنْتَنَا سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ } قوله تعالى: { قَلَمَّا سُبِّتَاسُوا مِنْهُ } أي: أيسوا. وفي هاء «منه» قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: يئسوا من يوسف أن يخلي سبيل أخيه.

والثاني: إلى أخيه، فالمعنى: يئسوا من أخيه. قوله تعالى: { خَلَصُوا نَجِيًّا } أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم، يتناجون ويتناظرون ويتشاورون، يقال: قوم نجي، والجمع أنجيه، قال الشاعر: إنني إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطربت أعناقهم كالأرشيّة

وإنما وحد «نجيا» لأنه يجري مجرى المصدر الذي يكون للثنين، والجمع والمؤنث بلفظ. واحد وقال الزجاج: انفردوا متناجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهم.

قوله تعالى: { قَالَ كَبِيرُهُمْ } فيه قولان. أحدهما: أنه كبيرهم في العقل، ثم فيه قولان. أحدهما: أنه يهوذا، ولم يكن أكبرهم سنا، وإنما كان أكبرهم سنا روبيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد.

والثاني: أنه كبيرهم في السن وهو روبيل، قاله قتادة، والسدي. قوله تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ } في حفظ أخيكم ورده إليه { وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّرْتُمْ فِي يُوسُفَ } قال الفراء: «ما» في موضع رفع، كأنه قال: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف. وإن شئت جعلتها نصبا، المعنى: ألم تعلموا هذا، وتعلموا من قبل تفريطكم في يوسف. وإن شئت جعلت «ما» صلة كأنه قال: ومن قبل فرطتم في يوسف. قال الزجاج: وهذا أجود الوجوه، إن تكون «ما» لغوا.

قوله تعالى: { فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ } أي: لن أخرج من أرض مصر، يقال: برح الرجل براحا:

إذا تنحي عن موضعه. { حَتَّى يَأْتَنَ لِي } قال ابن عباس: حتى يبعث إلي أن أتيه، { أو يحكم الله لي } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أو يحكم الله لي، فيرد أخي علي. والثاني: يحكم الله لي بالسيف، فأحارب من حبس أخي. والثالث: يقضي في أمري شيئاً، { وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمِينَ } أي: أعدلهم وأفضلهم. قوله تعالى: { إِنَّ نَبْتَكَ سَرَقٌ } وقرأ ابن عباس، والضحاك، وابن أبي سريج عن الكسائي: «سرق» بضم السين وتشديد الراء وكسرها. قوله تعالى: { وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا } فيه قولان. أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقه إلا بما علمنا، لأننا رأينا المسروق في رحله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وما شهدنا عن يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. وفي قوله: { وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ } ثمانية أقوال. أحدها: أن الغيب هو الليل، والمعنى: لم نعلم ما صنع بالليل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وهذا يدل على أن التهمة وقعت به ليلاً. والثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة، وقتادة، ومكحول. قال ابن قتيبة: فالمعنى: لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لناًتيناك به أنه يسرق فيؤخذ. والثالث: لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق، رواه عبد الوهاب عن مجاهد. والرابع: لم نعلم أنه سرق للملك شيئاً، ولذلك حكمنا باسترقاق السارق، قاله ابن زيد. والخامس: أن المعنى: قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله، ولا علم لنا بالغيب فلعلمهم سرقوه، قاله ابن إسحاق. والسادس: ما كنا لغيب ابنك حافظين، إنما نقدر على حفظه في محضره، فإذا غاب عنا، خفيت عنا أموره. والسابع: لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بابنك ما سافرنا به، ذكرهما ابن الأنباري. والثامن: لم نعلم أنك تصاب به كما أصبت بيوسف، ولو علمنا لم نذهب به، قاله ابن كيسان. { وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ لِي كُنَّا فِيهَا وَ لِعَيْرٍ لِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } قوله تعالى: { وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ } والمعنى: قولوا لأبيكم: سل أهل القرية { لِي كُنَّا فِيهَا } يعنون مصر { وَ لِعَيْرٍ لِي أَقْبَلْنَا فِيهَا } أي: وأهل العير، وكان قد

صحبهم قوم من الكنعانيين. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: وسل القرية والعيبر فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء قد تخاطبهم الأحجار والبهائم، فعلى هذا تسلم الآية من إضمار.
{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }
قوله تعالى: { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ } في الكلام اختصار، والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لهم هذا، وقد شرحناه في أول السورة [يوسف: 18].

واختلفوا لأي علة قال لهم هذا القول، على ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه ظن أن الذي تخلف منهم، إنما تخلف حيلة ومكرا ليصدقهم، قاله وهب بن منبه.
والثاني: أن المعنى: سولت لكم أنفسكم أن خروجكم بأخيكم يجلب نفعاً، فجر ضرراً، قاله ابن الأنباري.

والثالث: سولت لكم أنه يسرق، وما سرق.

قوله تعالى: { عَسَى إِلَهَ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا } يعني: يوسف وبنيامين وأخاهما المقيم بمصر، وقال مقاتل: أقام بمصر يهودا وشمعون، فاراد بقوله.
«أن يأتيني بهم» يعني: الأربعة.

قوله تعالى: { إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ } أي: بشدة حزني، وقيل: بمكانهم، { الْحَكِيمُ } فيما حكى علي.

{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَا عَلَيُّ يُوْسُفَ وَ يُبَيِّضُ عَيْنَاهُ مِنْ لِحْزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }
قوله تعالى: { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ } أي: أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب، وانفرد بحزنه، وهيج عليه ذكر يوسف { وَقَالَ يَا بَتِ دَخَلُوا عَلَيُّ يُوْسُفَ } قال ابن عباس: يا طول حزني على يوسف. قال ابن قتيبة: الأسف: أشد الحسرة.
قال سعيد بن جبیر: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم { إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رُجِعُونَ } [البقرة: 156] ولو أعطيتها الأنبياء لأعطيتها يعقوب، إذ يقول: «يا أسفى على يوسف».
فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين.

أحدهما: أنه شكاً إلى الله تعالى، لا منه.

والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يارب ارحم أسفى على يوسف. وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ، من المجاز الذي يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفى، أو

أنت راء أسفي، وهذا أسفي، فنادى الأسف في اللفظ، والمنادى في المعنى سواء، كما قال: «يا حسرتنا» والمعنى: يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم ولم يشك إلا إلى ربه فلما كان قوله يا أسفي شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. وقد روي عن الحسن أن أخاه مات، فجزع الحسن جزعا شديدا، فعوتب في ذلك، فقال: ما وجدت الله عاب على يعقوب الحزن حيث قال: «يا أسفي على يوسف».

قوله تعالى: { وَ يُبَيِّضُ عَيْنَاهُ مِنْ لُحْزَنِ } أي: انقلبت إلى حال البياض. وهل ذهب بصره، أم لا؟ فيه قولان. أحدهما: أنه ذهب بصره، قاله مجاهد.

والثاني: ضعف بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء، ذكره الماوردي. وقال مقاتل: لم يبصر بعينه ست سنين.

قال ابن عباس: وقوله: «من الحزن» أي: من البكاء، يريد أن عينه ابيضت لكثرة بكائه، فلما كان الحزن سببا للبكاء، سمي البكاء حزنا. وقال ثابت البناني: دخل جبريل على يوسف، فقال: أيها الملك الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال: ما فعل، قال: ابيضت عيناه، قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد. وقال الحسن البصري:

ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة، وما جفت عينه، وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

قوله تعالى: { فَهَوَّ كَظِيمٌ } الكظيم بمعنى الكاظم، وهو اليمسك على حزنه فلا يظهره، قاله ابن قتيبة: وقد شرحنا هذا عند قوله: { وَ لِكَظِيمِينَ لَعِيْظًا } [آل عمران: 134].

{ قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * يُبَيِّنُ لِهَبُّوَا فَيَحْسَبُوَا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيُسُوَا مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيُسُ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا لِقَوْمٍ لَّكَفَرُونَ }

قوله تعالى: { قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ } قال ابن الأنباري: معناه: والله، وجواب هذا القسم «لا» المضمرة التي تأويلها: تالله لا تفتأ، فلما كان موضعها معلوما خفف الكلام بسقوطها من ظاهره، كما تقول العرب: والله أقصدك أبدا، يعنون: لا أقصدك، قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

يريد: لا أبرح. وقالت الخنساء:
فأقسمت أسي على هالك أو اسأل نائحة مالها

أرادت: لا أسي، وقال الآخر:
لم يشعر النعش ما عليه من ال عرف ولا الحاملون ما حملوا

تالله أنسى مصيبي أبدا ما أسمعني حنينها الإبل
وقرأ أبو عمران، وابن محيصن، وأبو حيوة: «قالوا بالله» بالباء، وكذلك كل
قسم في القرآن. وأما قوله: «تفتأ» فقال المفسرون وأهل اللغة: معنى
«تفتأ» تزال، فمعنى الكلام: لا تزال تذكر يوسف، وأنشد أبو عبيدة:
فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لا حق وتقطع

وأنشد ابن القاسم:
فما فتئت منا رعال كأنها رعال القطا حتى احتوين بني صخر

قوله تعالى: { حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا } فيه أربعة أقوال.
أحدها: أنه الدنف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: يقال: أحرضه
الحنن، أي: أدنفه. قال أبو عبيدة: الحرص: الذي قد أذابه الحزن أو الحب،
وهي في موضع محرض. وأنشد.
إني امرؤ لرج بي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

أي: أذابني. وقال الزجاج: الحرص: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون
مدنفا مريضاً.

والثاني: أنه الذاهب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحق:
الفاسد العقل. قال الزجاج: وقد يكون الحرص: الفاسد في أخلاقه.
والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارص وحرص، فحارص،
يشني ويجمع ويؤنث، وحرص لا يجمع ولا يشني، لأنه مصدر، قاله الفراء.

والرابع: أنه الهرم، قاله الحسين، وقتادة، وابن زيد.
قوله تعالى: { أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ } يعنون: الموتى.
فإن قيل: كيف حلفوا على شيء يجوز أن يتغير؟
فالجواب: أن في الكلام إضماراً، تقديره: إن هذا في تقديرنا ووطننا.

قوله تعالى: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي} قال ابن قتيبة: البث: أشد الحزن، سمي بذلك، لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يئسه.

قوله تعالى: {إِلَى اللَّهِ} المعنى: إني لا أشكو إليكم، وذلك لما عنفوه بما تقدم ذكره. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنه قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم يا يعقوب، مالذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري، فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك، أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: إنما أشكو بشي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، ثم قال يعقوب: أي رب، أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري، وقوست ظهري، فاردد علي ريحاني أشمه شمة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر، فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، اصنع طعاما للمساكين، فإن أحب عبادي إلي، المساكين، وتدرى لم أذهبت بصرك، وقوست ظهرك، وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم، فلم تطعموه منها. فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب وإذا كان صائما، أمر مناديا فنادى: من كان صائما فليفطر مع يعقوب، وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدرى لم عاقبتك وجبست عنك يوسف ثمانين سنة؟

قال: لا، قال: لأنك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه، وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديها، وهي تخور، فلم يرحمها.

فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكا؟ فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر.

والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم.

والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور.

والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء. وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيما، ولا يقدر على دفع سببه.

قوله تعالى: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالًا * تَعْلَمُونَ} فيه أربعة أقوال.

أحدها: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له، رواه العوفي عن ابن عباس.
والثاني: أعلم من سلامة يوسف مالا تعلمون. قال ابن السائب: وذلك أن ملك الموت أتاه، فقال له يعقوب: هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا.
والثالث: أعلم من رحمة الله وقدرته مالا تعلمون، قاله عطاء.
والرابع: أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز، طمع أن يكون هو يوسف، قاله السدي، قال: ولذلك قال لهم: { هَبُوا فَتَحَسَّسُوا } . وقال وهب بن منبه: لما قال له ملك الموت: ما قبضت روح يوسف، تباشر عند ذلك، ثم أصبح، فقال لبيته: { هَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ } . قال أبو عبيدة: «تحسسوا» أي: تخبروا والتمسوا في المظان.
فإن قيل: كيف: «قال من يوسف» والغالب أن يقال: تحسست عن كذا؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري.
أحدهما: أن المعنى: عن يوسف، ولكن نابت عنها «من» كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون عنه.
والثاني: أن «من» أوثرت للتبويض، والمعنى: تحسسوا خبرا من أخبار يوسف.

قوله تعالى: { وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: من رحمة الله، قاله ابن عباس، والضحاك.

والثاني: من فرج الله، قاله ابن زيد.

والثالث: من توسعة الله، حكاه ابن القاسم. قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب. وقال أهل المعاني: لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله، { أَنَّهُ * يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا لِقَوْمٍ لَكُفْرُونَ } لأن المؤمن يرجوا الله في الشدائد.

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الصُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا لِكَيْلٍ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عِلْمُكُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَعَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَتَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تِلْكَ لَقَدَأْتَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ * قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ لِيَوْمٍ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ * هَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا قَالِقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ }

قوله تعالى: { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ } فِي الْكَلَامِ مَحذُوفٌ. تقديره: فخرجوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف، ف { قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ } وكانوا يسمون ملكهم بذلك، { مَسْتًا وَأَهْلَنَا أَلْصُرُّ } يعنون الفقر والحاجة { وَجِئْنَا بِيضَاعَةٍ }. أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها كانت متاعاً رثا كالحبل والغرارة، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

والثالث: كانت أقطا قاله الحسن.

والرابع: كانت نعلا وأدما، رواه جويبر عن الضحاك.

والخامس: كانت سويق المقل، روي عن الضحاك أيضا.

والسادس: حبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح.

والسابع: كانت صوفا وشيئا من سمن، قاله عبد الله بن الحارث.

وفي المزجاة خمسة أقوال.

أحدها: أنها القليلة. روى العوفي عن ابن عباس قال: دراهم غير طائلة، وبه

قال مجاهد، وابن إسحاق، وابن قتيبة. قال الزجاج: تأويله في اللغة أن

الترجية: الشيء الذي يدافع به، يقال: فلان يزجي العيش، أي: يدفع بالقليل

ويكتفي به، فالمعنى: جئنا ببضاعة إنما ندافع بها ونتقوت، وليست مما يتسع

به، قال الشاعر:

الواهب المائة الهجان وعبدها عودا تزجي خلفها أطفالها

أي: تدفع أطفالها.

والثاني:

أنها الرديئة، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: إنما قيل للرديئة:

مزجاة، لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها، قال: وهي من الإزجاء،

والإزجاء عند العرب: السوق والدفع، وأنشد:

ليبك على ملحان ضيف مدفع وأرملة تزجي من الليل أرملا

أي: تسوقه.

والثالث: الكاسدة، رواه الضحاك أيضا عن ابن عباس.

والرابع: الرثة، وهي المتاع الخلق، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

والخامس: الناقصة، رواه أبو حصين عن عكرمة.

قوله تعالى: { مُزْجَاةٌ قَاوِفٍ لَنَا لِكَيْلٍ } أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا.

قوله تعالى: { وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: تصدق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدق، وليس به.

والثاني: برد أخينا، قال ابن جريج. قال: وذلك أنهم كانوا أنبياء، والصدقة لا تحل للأنبياء.

والثالث: وتصدق علينا بالزيادة على حقنا، قاله ابن عيينة، وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسين الماوردي، وأبو يعلى بن الفراء.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} أي: بالثواب. قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن. قوله تعالى: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ} في سبب قوله لهم هذا، ثلاثة اقوال.

أحدها: أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبه على أنفسهم ببيعه من مالك بن زعر، وفي آخر الكتاب: «وكتب يهوذا» فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبد كان لنا، فقال يوسف عند ذلك: إنكم تستحقون العقوبة، وأمر بهم ليقتلوا، فقالوا: إن كنت فاعلا، فاذهب بأمّعتنا إلى يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته، وقال: قد كان ابونا متصل الحزن لفقد واحد من ولده، فكيف به إذا أخبر بهلكنا أجمعين؟ فرق يوسف عند ذلك وكشف لهم أمره، وقال لهم هذا القول، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

الثاني: أنهم لما قالوا: «مسنا وأهلنا الضر» أدركته الرحمة، فقال لهم هذا، قاله ابن إسحاق.

والثالث: أن يعقوب كتب إليه كتابا: إن رددت ولدي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك، فبكى، وقال لهم هذا. وفي «هل» قولان.

أحدهما: أنها استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام. قال ابن الأنباري: والمعنى: ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمح ما أترتم من قطيعة الرحم وتضييع الحق، وهذا مثل قول العربي: أتدري من عصيت؟ هل تعرف من عادت؟ لا يرد بذلك الاستفهام، ولكن يريد تفضيع الأمر، قال الشاعر:
أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي

لم يرد الاستفهام، إنما أراد أن هذا غير مرجو عندهم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: هل علمتم عقبي ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وهذه الآية تصديق قوله: {لَتُبَيِّنَنَّ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ} والثاني: أن «هل» بمعنى «قد» ذكره بعض أهل التفسير. فإن قيل: فالذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سعوا في حبسه ولا أرادوه؟ فالجواب من وجوه. أحدها: أنهم فرقوا بينه وبين يوسف، فنغصوا عيشه بذلك. والثاني: أنهم آذوه بعد فقد يوسف. والثالث: أنهم سبوه لما قذف بسرقة الصاع. وفي قوله: {إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} أربعة أقوال. أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس. والثاني: مذنبون، قاله مقاتل. والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى. والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري. قوله تعالى: {أَأَنْتَ يَوْسُفُ} قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن محيصة: «إنك» على الخبر، وقرأه آخرون بهمزتين محقتين، وأدخل بعضهم بينهما ألفاً. واختلف المفسرون، هل عرفوه، أم شبهوه؟ على قولين. أحدهما: أنهم شبهوه بيوسف، قاله ابن عباس في رواية. والثاني: أنهم عرفوه، قاله ابن إسحاق. وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال. أحدها: أنه تبسم، فشبهوا ثناياه بثنايا يوسف، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه كانت له علامة كالشامة في قرنيه، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولسارة مثلها، فلما وضع التاج عن رأسه، عرفوه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كشف الحجاب، فعرفوه، قاله ابن إسحاق. قوله تعالى: {قَالَ أَنَا يُوسُفُ} قال ابن الأنباري: إنما أظهر الاسم، ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، فكانه قال: أنا المظلوم المستحل منه، المراد قتله، فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: {وَهَذَا أَخِي} وهم يعرفونه، وإنما قصد: وهذا المظلوم كظلمي. قوله تعالى: {قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} فيه ثلاثة أقوال. أحدها: بخير الدنيا والآخرة. والثاني: بالجمع بعد الفرقة.

والثالث: بالسلامة ثم بالكرامة.
قوله تعالى: { إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } قرأ ابن كثير في رواية قبل: «من يتقي ويصبر» بياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بغير ياء الحاليين.
وفي معنى الكلام أربعة أقوال.
أحدها: من يتق الزنى ويصبر على البلاء.
والثاني: من يتق الزنى ويصبر على العزبة.
والثالث: من يتق الله ويصبر على المصائب، رويت هذه الأقوال عن ابن عباس.
والرابع: يتق معصية الله ويصبر على السجن، قاله مجاهد.
قوله تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } أي: أجر من كان هذا حاله.
قوله تعالى: { لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا } أي: اختارك وفضلك.
وبماذا عنوا أنه فضله فيه؟ أربعة أقوال.
أحدها: بالملك، قاله الضحاك عن ابن عباس.
والثاني: بالصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.
والثالث: بالحلم والصفح عنا، ذكره أبو سليمان الدمشقي.
والرابع: بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه.
قوله تعالى: { وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ } قال ابن عباس: لمذنبين آثمين في أمرك.
قال ابن الأنباري: ولهذا اختير «خاطئين» علي «مخطئين» وإن كان «أخطأ» على ألسن الناس أكثر من «خطيء يخطأ» لأن معنى خطيء يخطأ، فهو خاطيء: آثم، ومعنى أخطأ يخطيء، فهو مخطيء: ترك الصواب ولم يآثم، قال الشاعر:
عبادك يخطأون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم

أراد: يآثمون. قال: ويجوز أن يكون أثر «خاطئين» على «مخطئين» لموافقة رؤوس الآيات لأن «خاطئين» أشبه بما قبلها.
وذكر الفراء في معنى «إن» قولين.
أحدهما: وقد كنا خاطئين. والثاني: وما كنا إلا خاطئين.
قوله تعالى: { لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ أَيُّومٌ } قال أبو صالح عن ابن عباس: لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبدا. قال ابن الأنباري: إنما أشار إلى ذلك اليوم، لأنه أول أوقات العفو، وسبيل العافي في مثله أن لا يراجع عقوبة. وقال ثعلب: قد ثرب فلان على فلان: إذا عدد عليه ذنوبه. وقال ابن قتيبة: لا تعبير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم، وأصل التثريب: الإفساد، يقال: ثرب علينا: إذا أفسد،

وفي الحديث: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد، ولا يثرب» أي: لا يعيرها بالزنى، قال ابن عباس: جعلهم في حل، وسأل الله المغفرة لهم. وقال السدي: لما عرفهم نفسه، سألهم عن أبيه، فقالوا: ذهب عيناه، فأعطاهم قميصه، وقال: { لَهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا } وهذا القميص كان في قصبة من فضة معلقا في عنق يوسف لما ألقى في الجب، وكان من الجنة، وقد سبق ذكره [يوسف: 25/18 / 28/26/27].
قوله تعالى: { يَأْتِ بِصِيرًا } قال أبو عبيدة: يعود مبصرا.

فإن قيل: من أين قطع على الغيب؟
فالجواب: أن ذلك كان بالوحي إليه، قاله مجاهد.
قوله تعالى: { وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ } قال الكلبي: كان أهله نحو من سبعين إنسانا.

{ وَلَمَّا فَصَلَتِ يُعِيرُ قَالَ أَبُوهُمُ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَتِّدُونِ }
قوله تعالى: { وَلَمَّا فَصَلَتِ يُعِيرُ } أي: خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان.
وكان الذي حمل القميص يهوذا. قال السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنته، وأنا الآن أحمل قميصك لأسرة، فحملة، قال ابن عباس: فخرج حافيا حاسرا يعدو، ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها.

قوله تعالى: { قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمُ } يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقرابته وولد ولده { إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ } ومعني أجد: أشم، قال الشاعر:
وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنها أصلاب قوم تقصف

وليس فتيق المسك ما تجدونه ولكنه ذاك الثناء المخلف

فإن قيل: كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر، ولم يجد ريحه من الجب وبعد خروجه منه، والمسافة هناك أقرب؟
فعنه جوابان. أحدهما: أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر، وأوجده ريحه من المكان النازح عند تقضي البلاء ومجيء الفرج.

والثاني: أن هذا القميص كان في قصبة من فضة معلقا في عنق يوسف على ما سبق بيانه. فلما نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب، فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص. قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة،

فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ}. وقيل: إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير فأذن لها، فلذلك يستروح كل محزون إلى ريح الصبا، ويجد المكروبون لها روحا، وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق، قال أبو صخر الهذلي:

إذا قلت هذا حين اسلو يهيجني نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

قال ابن عباس: وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ثمانين فرسخا. قوله تعالى: {لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} فيه خمسة أقوال. أحدها: تجهلون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: تسفهون، رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة، ومجاهد في رواية. وقال في رواية أخرى: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك.

والثالث: تكذبون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك.

والرابع: تهرمون، قاله الحسن، ومجاهد في رواية. قال ابن فارس: الفند: إنكار العقل من هرم.

والخامس: تعجزون، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: تسفهون وتعجزون وتلومون، وأنشد:

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمر بمرود

قال ابن جرير: وأصل التفنيد: الإفساد، وأقوال المفسرين تتقارب معانيها، وسمعت الشيخ أبا محمد ابن الخشاب يقول: قوله: «لولا أن تفندون» فيه إضمار، تقديره: لأخبرتكم أنه جي.

{قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} {قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

قوله تعالى: {قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} قال ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا، وكذلك قال السدي: هذا قول بني بنيه، لأن بنيه كانوا بمصر. وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه بمعنى الخطأ، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه الجنون، قاله سعيد بن جبير. والثالث: الشقاء والعناء، قاله مقاتل، يريد بذلك شقاء الدنيا.

{ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ لِبَشِيرِ أَلْقَاهُ عَلَيَّ وَجْهَهُ وَرَأَيْتَ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﷺ أَنِّي أَعْلَمُ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا بَاتَا سُبْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ
سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ﷺ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {
قوله تعالى: { فَلَمَّا أَنْ جَاءَ لِبَشِيرِ } فيه قولان.

أحدهما: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه،
والسدي، والجمهور. والثاني: أنه شمعون، قاله الضحاك.
فإن قيل: ما الفرق بين قوله هاهنا: { فَلَمَّا أَنْ جَاءَ } وقال في موضع: { فَلَمَّا
جَاءَهُمْ } [البقرة: 89].

فالجواب: أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعا، فدخل «أن» لتوكيد
مضي الفعل، وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابن
الأنباري.

قوله تعالى: { أَلْقَاهُ } يعني القميص { عَلَيَّ وَجْهَهُ } يعني يعقوب { وَرَأَيْتَ
بَصِيرًا }، الارتداد: رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها. قال ابن الأنباري: إنما
قال: ارتد، ولم يقل: رد، لأن هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين،
كقولهم: طالت النخلة، والله أطالها، وتحركت الشجرة، والله حركها. قال
الضحاك: رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم،
وسروره بعد الحزن.

وروى يحيى بن يمان عن سفيان قال: لما جاء البشير يعقوب، قال: على أي
دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.
قوله تعالى: { أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } فيه أقوال قد سبق
ذكرها قبل هذا بقليل.

قوله تعالى: { قَالُوا يَا بَاتَا سُبْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا } سألوه يستغفر لهم ما أتوا، لأنه
نبي مجاب الدعوة. { قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي } في سبب تأخيره لذلك
ثلاثة أقوال.

أحدهما: أنه أخرهم لانتظار الوقت الذي هو مظنة الإجابة، ثم فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه أخرهم إلى ليلة الجمعة، رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم. قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين
سنة.

والثاني: إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال
طاووس: فوافق ذلك ليلة عاشوراء.
والثالث:

إلى وقت السحر، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وقتادة، والسدي، ومقاتل. قال الزجاج: إنما أراد الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء، لأنه صن عليهم بالاستغفار، وهذا أشبه بأخلاق الأنبياء عليهم السلام.

والقول الثاني: أنه دفعهم عن التعجيل بالوعد. قال عطاء الخراساني: طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: «لا تشرب عليكم اليوم» وإلى قول يعقوب: «سوف أستغفر لكم ربي» والثالث: أنه أخرجهم ليسأل يوسف، فإن عفا عنهم، استغفر لهم، قاله الشعبي. وروي عن أنس بن مالك أنهم قالوا: يا أبانا إن عفا الله عنا، وإلا فلا قرة عين لنا في الدنيا، فدعا يعقوب وأمن يوسف، فلم يجب فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل فقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا عما صنعوا به، واعتقد موأثيقهم من بعد على النبوة. قال المفسرون: وكان يوسف قد بعث مع البشير إلى يعقوب جهازا ومائتي راحلة، وسأله أن يأتيه بأهله وولده. فلما ارتحل يعقوب ودنا من مصر، استأذن يوسف الملك الذي فوقه في تلقي يعقوب، فأذن له، وأمر الملائم من أصحابه بالركوب معه، فخرج في أربعة آلاف من الجند، وخرج معهم أهل مصر.

وقيل: إن الملك خرج معهم أيضا. فلما التقى يعقوب ويوسف، بكيا جميعا، فقال يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، أما علمت أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني، خشيت أن تسلب دينك فلا نجتمع. وقيل: إن يعقوب ابتدأه بالسلام، فقال السلام عليكم يا مذهب الأحران. { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ لُحُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ }

قوله تعالى: { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ } يعني: يعقوب وولده. وفي هذا الدخول قولان.

أحدهما: أنه دخول أرض مصر، ثم قال لهم: { لُحُلُوا مِصْرَ } يعني البلد. والثاني: أنه دخول مصر، ثم قال لهم: «ادخلوا مصر» أي: استوطنوها. وفي قوله: { إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ } قولان.

أحدهما: أبوه وخالته، لأن أمه كانت قد ماتت، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أبوه وأمه، قاله الحسن، وابن إسحاق.

وفي قوله: { إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ } أربعة أقوال.

أحدها: أن في الكلام تقدما وتأخيرا، فالمعنى: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم، هذا قول ابن جريج.

والثاني: أن الاستثناء يعود إلى الأمن. ثم فيه قولان. أحدهما: أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم. والثاني: أن الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر، فلا يدخلون إلا بجوارهم.
والثالث: أنه يعود إلى دخول مصر، لأنه قال لهم هذا حين تلقاهم قبل دخولهم، على ما سبق بيانه.

والرابع: أن «إن» بمعنى: «إذ» كقوله: {إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا} [النور: 33] قال ابن عباس: دخلوا مصر يومئذ وهم نيف وسبعون من ذكر وأثى، وقال ابن مسعود: دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

{ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى لِعَرْشٍ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ }

قوله تعالى: { وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى لِعَرْشٍ } في «أبويه» قولان قد تقدم في الآية التي قبلها. والعرش هاهنا: سرير المملكة، أجلس أبويه عليه { وَخَرُّوا لَهُ } يعني: أبويه وإخوته.

وفي هاء «له» قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، قاله الجمهور. قال أبو صالح عن ابن عباس: كان سجودهم كهياة الركوع كما يفعل الأعاجم. وقال الحسن: أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا. قال ابن الأنباري: سجدوا له على جهة التحية، لا على معنى العبادة، وكان أهل ذلك الدهر يحيى بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء، فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى، أنس بن مالك قال: «قال رجل: يا رسول الله أحدنا يلقي صديقه اينحني له قال لا».
والثاني: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: وخروا لله سجداً، رواه عطاء، والضحاك عن ابن عباس، فيكون المعنى: أنهم سجدوا شكراً لله إذ جمع بينهم وبين يوسف.

قوله تعالى: { هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَا } أي: تصديق ما رأيت، وكان قد رأهم في المنام يسجدون له، فأراه الله ذلك في اليقظة.
واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها على سبعة أقوال.

أحدها: أربعون سنة، قاله سلمان الفارسي، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ومقاتل.

والثاني: اثنتان وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: ثمانون سنة، قاله الحسن، والفضيل بن عياض.

والرابع: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي.

والخامس: خمس وثلاثون سنة، قاله قتادة.

والسادس: سبعون سنة، قاله عبد الله بن شوذب.

السابع: ثماني عشرة سنة، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: {وَقَدْ أَحْسَنَ بَيِّ} أي: إلي. والبدو: البسط من الأرض. وقال ابن عباس: البدو: البادية، وكانوا أهل عمود وماشية.

قوله تعالى: {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} أي: أفسد بيننا: قال أبو عبيدة: يقال: نزع بينهم ينزع، أي: أفسد وهيج، وبعضهم يكسر زاي ينزع. {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ} أي: عالم بدقائق الأمور. وقد شرحنا معنى «اللطيف» في [الأنعام: 102].

فإن قيل: قد توالى على يوسف نعم خمسة، فما اقتصره على ذكر السجن، وهلا ذكر الجب، وهو أصعب.

فالجواب من وجوه.

أحدها: أنه ترك ذكر الجب تكريماً، لئلا يذكر إخوته صنيعهم، وقد قال: «لا تشرب عليكم اليوم».

والثاني: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فكانت هذه النعمة أوفى.

والثالث: أن طول لبثه في السجن كان عقوبة له، بخلاف الجب، فشكر الله على عفو.

قال العلماء بالسير: أقام يعقوب بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة. وقال بعضهم: سبع عشرة سنة في أهنا عيش، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف أن يحمل إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل به ذلك، وكان عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة، ثم إن يوسف تاق إلى الجنة، وعلم أن الدنيا لا تدوم فتمنى الموت، قال ابن عباس، وقتادة: ولم يتمن الموت نبي قبله، فقال: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ} يعني: ملك مصر {وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} وقد سبق تفسيرها [يوسف: 6].

وفي «من» قولان.

أحدهما: أنها صلة، قاله مقاتل. والثاني: أنها للتبويض، لأنه لم يؤت كل الملك، ولا كل تأويل الأحاديث.

قوله تعالى: { قَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ } قد شرحناه في [الأنعام: 6] { رَبِّ قَدْ } أي: الذي تلي أمري. توفي مسلما قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه. وكان ابن عقيل يقول: لم يتمن يوسف الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة. والمعنى: توفي إذا توفيتني مسلما، قال الشيخ: وهذا الصحيح.

قوله تعالى: { وَالْحَقِي بِالصَّالِحِينَ } والمعنى: ألحقني بدرجاتهم، وفيهم قولان.

أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله عكرمة.

والثاني: أبأوه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك: قالوا: فلما احتضر يوسف، أوصى إلى يهوذا، ومات، فتشاح الناس في دفنه، كل يحب أن يعرف في محله رجاء البركة، فاجتمعوا على دفنه في النيل ليمر الماء عليه ويصل إلى الجميع،

فدفنوه في صندوق من رخام، فكان هنالك إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان. قال الحسن: مات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة. وذكر مقاتل أنه مات بعد يعقوب بستين.

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ لُغَيْبٍ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ اجْتَمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }

قوله تعالى: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ لُغَيْبٍ } أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك، فأنزله الله عليك دليلا على نبوتك. { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ } أي: عند إخوة يوسف { إِذِ اجْتَمَعُوا أَمْرَهُمْ } أي: عزموا على إلقاءه في البئر { وَهُمْ يَمْكُرُونَ } بيوسف، وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يشاهد تلك القصة، ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز، فدل على أنه أخبر بوحي.

{ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } قال ابن الأنباري: إن قريشا واليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحا شافيا، وهو يؤمل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم، فخالفوا ظنه، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعزاه الله تعالى بهذه الآية. قال الزجاج: ومعناها: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن

تهديهم. { وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ } أي: على القرآن وتلاوته وهدايتك { عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ
إِنْ هُوَ } أي: ما هو إلا تذكرة لهم لها فيه صلاحهم ونجاتهم.
{ وَكَأَيِّنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ }
قوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ } أي: وكم { مِّنْ آيَةٍ } أي: علامة ودلالة تدلهم.
على توحيد الله، من أمر السموات والأرض. { يَمُرُّونَ عَلَيْهَا } أي: يتجاوزونها
غير متفكرين ولا معتبرين.

{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ }
قوله تعالى: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ } فيهم ثلاثة أقوال.
أحدها: أنهم المشركون، ثم في معناها المتعلق بهم قولان. أحدهما: أنهم
يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به، رواه أبو صالح عن ابن
عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والشعبي، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في
تلبية مشركي العرب، كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك لبيك، لا شريك لك، إلا
شريكا هو لك، تملكه وما ملك رواه الضحاك عن ابن عباس.
والثاني: أنهم النصارى، يؤمنون بأنه خالقهم ورازقهم، ومع ذلك يشركون به،
رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أنهم المنافقون، يؤمنون في الظاهر رياء الناس، وهم في الباطن
كافرون، قاله الحسن.

فإن قيل: كيف وصف المشرك بالإيمان؟

فالجواب: أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان، وإنما المعنى: أن أكثرهم، مع
إظهارهم الإيمان بالسنتهم مشركون.
{ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ }
قوله تعالى: { أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ } قال ابن قتيبة:

الغاشية: المجلة تغشاهم. وقال الزجاج: المعنى: يأتيهم ما يغمرهم من
العذاب. والبغته: المفاجأة من حيث لم تتوقع.

{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

قوله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي } المعنى: قل يا محمد للمشركين: هذه
الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي، أي: سنتي ومنهاجي.
والسبيل تذكر وتؤنث، وقد ذكرنا ذلك في [آل عمران: 195]. { ادْعُوا * إِلَى
اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } أي: على يقين. قال ابن الأنباري: وكل مسلم لا يخلو من
الدعاء إلى الله عز وجل، لأنه إذا تلا القرآن، فقد دعا إلى الله بما فيه. ويجوز

أن يتم الكلام عند قوله: {إِلَى اللَّهِ} ثم ابتداءً فقال: {عَلَى بَصِيرَةٍ أَمَّا وَمَنْ
تَبَعَنِي}

قوله تعالى: {وَسُبْحَانَ اللَّهِ} المعنى: وقل سبحان الله تنزيهاً له عما
أشركوا.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا مَّيْمُونًا يُؤْتُونَ الْبَيِّنَاتِ وَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ} أَمْ لَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
تَّقُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا} هذا نزل من أجل قولهم: هلا
بعث الله ملكاً، فالمعنى: كيف تعجبوا من إرسالنا إياك، وسائر الرسل كانوا
على مثل حالك {يُوحَى * إِلَيْهِمْ}؟ وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون.
والمراد بالقرى: المدائن. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا
من الجن، ولا من النساء، قال قتادة: لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل
العمود.

قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} يعني: المشركين المنكرين نبوتك
{فَيَنْظُرُوا} إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بذلك. {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ} يعني:
الجنة {خَيْرٌ} من الدنيا {لِلَّذِينَ تَقُوا} الشرك. قال الفراء: أضيفت الدار
إلى الآخرة، وهي الآخرة، لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف
لفظه، كقوله: {لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} [الواقعة: 96] والحق: هو اليقين، وقولهم:
أتيتك عام الأول، ويوم الخميس.

قوله تعالى: {أَفَلَا يَعْقِلُونَ} قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وحفص، والمفضل،
ويعقوب: «تعقلون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، والمعنى: أفلا يعقلون هذا
فيؤمنوا.

{حَتَّىٰ إِذَا سَتَّيَّسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنْ رَبِّكَ فَتَنَّىٰ مَنْ شَاءَ
وَلَا يُرَدُّ بَأْسًا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا سَتَّيَّسَ الرُّسُلُ} المعنى متعلق بالآية الأولى،

فتقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فدعوا قومهم، فكذبوهم، وصبروا
وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل، وفيه قولان.
أحدهما: استيأسوا من تصديق قومهم، قاله ابن عباس.

والثاني: من أن نعذب قومهم، قاله مجاهد. {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا} قرأ ابن
كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «كذبوا» مشددة الذال مضمومة الكاف،
والمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فيكون الظن هاهنا بمعنى
اليقين، هذا قول الحسن، وعطاء، وقاتادة. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي:

«كذبوا» خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر، لأن الرسل لا يظنون ذلك. وقرأ أبو رزين، ومجاهد، والضحاك: «كذبوا» بفتح الكاف والذال خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أيضا أنهم قد كذبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: {جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنَ رَبِّكَ وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعُوا الْوَعْدَ الَّذِي لَكُمْ وَتَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ} يعني: الرسل {دَرَجَاتٍ مِّنْ تَشَاءِ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «فنجي» بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحفص، جميعا عن عاصم، ويعقوب: «فنجي» مشدده الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين، نجوا عند نزول العذاب.

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ} أي: في خبر يوسف وإخوته. وروى عبد الوارث كسير القاف، وهي قراءة قتادة، وأبي الجوزاء. {عِبْرَةٌ} أي: عظة {لِأُولِي الْأَلْبَابِ} أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين.

أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإن من فعل ذلك به، قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وتعليه كلمته.

والثاني: أن من تفكر، علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم، مع كونه أميا، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه، فاستدل بذلك على صحة نبوته.

قوله تعالى: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ} في المشار إليه قولان. أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة.

والثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق، فعلى القول الأول، يكون معنى قوله: {وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}: ولكن كان تصديقا لما بين يديه من الكتب {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} يحتاج إليه من أمور الدين {وَهُدًى} بيانا ورحمة لقوم يؤمنون أي يصدقون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى القول الثاني: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته.